المرجعية الدينية

وقضايا أُخرى

الطباطبائي الحكيم، محمد سعيد، ١٩٣٥م ـ
المرجعيـة الدينية وقضايا أُخرى في حوار صريح مع سـماحة المرجع .. السـيد محمد سـعيد الطباطبائي الحكيم.
نشر: دار الهلال، ١٤٣٤هـ. = ٢٠١٣م. جزئين في مجلد واحد.
٢٥٤ ص. الطبعة السادسة.
السعر: ٠٠٠, ٤٠ ريال . شابك : ٠-٩٣-٨٢٧٦-٩٦٤-٩٧٨ :ISBN
ملاحظة: الفهرسة طبق نظام فيپا. المصادر بالهامش.
الموضـوع: ١ ـ الأجتهـاد والتقليـد. ٢ ـ الطباطبائـي الحكيـم، محمـد سـعيد، ١٩٣٥م ـ م. حوارات.
٤ م ٢ ط/ ٤/ ١٦٧ BP الايداع في المكتبة الوطنية: ٣١ / ٢٩٧

المرجعية الدينية

وقضايا أُخرى

الحلقة الأولى

في حوار صريح مع

سماحة المرجع الديني الكبير

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله

دار الهلال

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة السادسة

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

مكتب سماحة المرجع الديني الكبير
السيد الحكيم دام ظله

العراق ـ النجف الأشرف: هاتف : ٣٣٣١٨٠ـ٣٧٠٠٤٦ (٣٣ ٩٦٤+).

ايران ـ قم: ص.ب (٤٨٦/ ٣٧١٨٥). هاتف: ٧٧٣٤٢٢١ـ ٧٧٤٠٢٣٠ (٩٨ ٢٥١+)
فاكس: ٧٧٤٢١٤٦(٩٨ ٢٥١+).

سوريا ـ دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام: هاتف:٦٤٧٠٧٥٢ . فاكس :٦٤٧٢٠٥٨ (١١ ٩٦٣+).

لبنان ـ بيروت: هاتف:٤٥١٦٣٤(١ ٩٦١+) . فاكس :٤٥١٦٣٥ (١ ٩٦١+).

العنوان على الانترنت: http://www.alhakeem.org

الحكمة للثقافة الإسلامية: http://www.alhikmeh.com

البريد الالكتروني: info@alhakeem.com

اسم الكتاب: ..... المرجعية الدينية وقضايا أُخرى
المؤلف: .....السيد الحكيم (مد ظله)
المطبعة: ..... ستارة
العدد: .....٣,٠٠٠ نسخة
الناشر: ..... دار الهلال
ISBN: ٩٧٨-٩٦٤-٨٢٧٦-٩٣-٠

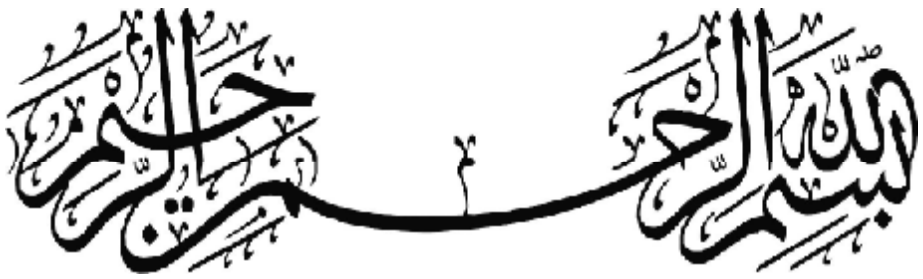
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الميامين.

المرجعية الدينية .. مفهوم ازدحمت عنده الطروحات، وتباينت حوله النظريات، حتى نسجت حوله ظلالاً من الشك، كان (ثمرته) إغفال الدور المشرّف وكثير من الصفحات المشرقة التي تزيّن هذه المرجعية .. وبات المثقف الشيعي معبأً بعلامات الاستفهام.

وفي خضم هذا التيه.. كان هذا الحوار الصريح ـ حول شؤون المرجعية الدينية وغيرها من القضايا المطروحة في الساحة ـ مع عَلَم بارز من أعلام النجف الأشرف، وأحد مراجع الدين الكبار .. سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم«مدظله»، لما هو المعروف عن سماحته من أصالة وصراحة وواقعية، خصوصاً أنّه عاصر أكثر من مرجعية عامة، وكان قريباً من مرجعية الإمام الحكيم قدس سره إحدى أبرز المرجعيات الدينية الفاعلة لشيعة أهل البيت عليهم السلام في العصر الحديث.

وفيما يلي نص الحوار ..

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قد تميزت الطائفة الإمامية الإثنا عشرية ـ أعز الله شأنها وأعلى كلمتها ـ بفتح باب الاجتهاد على مر العصور وتعاقب الدهور، وعلى ذلك جرى علماؤها الأبرار(رضوان الله عليهم)، وهم لا يريدون بالاجتهاد التوسع على حساب الحكم الشرعي وتغييره تبعاً لتغيير الظروف واختلاف العصور، أو إرضاء لعامة الناس، أو للحكام والمتسلطين وغيرهم من أهل النفوذ، أو لغير ذلك، بل الاجتهاد عندهم هو بذل الجهد لمعرفة الحكم الشرعي من منابعه الأصيلة، والحفاظ عليه كأمانة يسأل الله تعالى المجتهد عنها عندما يقف بين يديه، يوم العرض الأكبر يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير.

كما تميزت هذه الطائفة بالتقليد، الذي هو عبارة عن رجوع عامة الناس الذين لا معرفة لهم بالأحكام الشرعية في أعمالهم ـ من عبادات ومعاملات وغيرها ـ للمجتهد المأمون

علـــى الحكم الشـــرعي الذي لا يفرط فيه تســـامحاً في البحث والفحص، أو تبعاً لســـلطان، أو إرضـــاءً لعامة الناس، أو حباً للظهـــور في ابتداع الجديد أوفي التخفيف والتســـهيل، أو لغير ذلك من المكاســـب والأغراض الماديـــة والمعنوية. كل ذلك خوفاً من الله تعالى وفرقاً من عظيم عقابه وشديد نكاله.

ولذا تراهم يُكنِّـــون لعلمائهم عامة ولمن يقلدونه خاصة من الاحترام والتقديس والتعظيم والتبجيل الشيء الكثير.

وحـــق لهذه الطائفـــة أن ترفع رأســـها فخـــراً واعتزازاً بمحافظتها على أحكام الله تعالى، واهتمامها بأخذها من منابع التشريع الأصيلة، وصمودها في ذلك متحدية أعاصير الزمن وظلمات الفتن على طول المدة وشـــدة المحنة. كل ذلك بفضل علمائها المخلصين الذيـــن لا تأخذهم في الله تعالى لومة لائم، وأتباعهم المؤمنين الذين لا يأخـــذون دينهم إلا ممن هو أهل للأمانة فـــي دينه وورعه وقدســـيته، رافضين غيرهم ممن لا يتحلى بالأمانة والورع، ولا يبالي في أي واد ســـلك، قد تورط في الشبهة ووضع نفسه في مواضع التهمة.

وأمـــام أعينهـــم فـــي ذلـــك تعاليـــم أئمـــة الهـــدى مـــن أهـــل البيـــت (صلـــوات الله عليهـــم) المطابقـــة لحكـــم العقـــل الســـليم والكتـــاب المجيـــد ولســـنة النبـــي صلى الله عليه وآله. فقد ورد عنهم عليهم السلام في ذلك الشـــيء الكثير، وفي الحديث

الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه بعد أن ذم اليهود بتقليدهم لعلمائهم وشـــدد عليهم، قال: «وكذلك عـــوام اُمتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفســـق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامهـــا، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصـــلاح أمره مســـتحقاً، وبالترفرف بالبر والإحســـان على مـــن تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مســـتحقاً، فمن قلد مـــن عوامنا مثل هـــؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهـــود الذين ذمهم الله تعالـــى بالتقليد لفســـقة فقهائهم، فأما مـــن كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعـــوام أن يقلـــدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشـــيعة لا جميعهـــم، فأما من ركب مـــن القبائـــح والفواحش مراكب فســـقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شـــيئاً ولا كرامة. . . ».

فعلى المؤمنين سددهم الله تعالى ـ العلماء منهم والأتباع ـ أن يعرفوا عظيم المسؤولية الملقاة على عواتقهم، وثقل الأمانة التي حملهـــا الله تعالى إياهم، وليكن الهم الأول والأخير للعالم هو معرفة الحقيقة والحفاظ عليها والوصول للحكم الشـــرعي من منابعه الأصيلة، وبيانه، أداءً للوظيفة الشـــرعية، من دون اهتمام بكثرة الأتباع والأنصـــار، ولا بالبهرجة وحب الظهور، ولا بغير ذلك مـــن مغريات الدنيا الزائلة ودواعي الشـــيطان

المهلكة. وأمام عينيه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

كما ليكن همُّ الأتباع الخروج عن تبعة الأحكام الشرعية بأخذها من العلماء العاملين، من أهل الورع والتقوى والنزاهة والإخلاص والاستقامة، وممن لا تنالهم الطعون ولا تلوكهم الألسن، لبعدهم عن الشبهات وعن مواقع التهم، مع كمال التثبت والتروي، ليكونوا بذلك على بصيرة من الخروج عن المسؤولية وقيام العذر لهم بين يدي الله تعالى، يوم يعرضون عليه لا يخفى عليه منهم خافية، ولا يكون اتّباعهم للشخص مبنياً على التسرع والانخداع ببهرجة الأقوال أو لموافقته لأهوائهم ورغباتهم، فإن الرقيب في جميع ذلك هو الله تعالى المطلع على السرائر والعالم بالخفايا والضمائر، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وقد يقف الناس حيارى ـ لملابسات خاصة وظروف طارئة ـ أمام كثرة الدعاوى وتعدد الاتجاهات، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يجرّ للتفريط في الوظيفة والتقصير في أداء الواجب، إذ مهما التبست الأُمور وشبهت الفتن فإن الله جلت آلاؤه لا

(١) الحاقة: ٤٤-٤٧.

يضيع حجته ولا يخفي معالم دينه ـ بفضله ورحمته إن شاء الله ـ على من حاول البحث عنها وجهد في الوصول إليها ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

الحمد لله رب العالمين[3].

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الأنعام: ١٤٩.

(٣) سبق أن نشر هذا التمهيد في مقدمة الرسالة العملية لسماحة السيد الحكيم (مد ظله) ارتأينا أن نصدّر به هذا الحوار حول المرجعية الدينية لارتباطه الوثيق بموضوع الحوار (الناشر).

س ١ ـ هـل كان التقليـد والرجوع للعلماء موجـوداً لـدى شـيعة أهـل البيـت عليهم السلام فـي عصـور حضـور الأئمـة، أو عصـر الغيبـة الصغرى، أو بدأ بعدها؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على سـيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين ولعنـة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد ... فالرجوع للعلماء وسؤالهم عن الأحكام الشرعية العملية مما جرت عليه سـيرة الشـيعة وجميع المسلمين من الصـدر الأول ، وعرف في كل عصر جماعـة ممن يتصدى للفتوى.

وقد تضمَّنـت النصوص تصدِّي بعض علماء الشـيعة

لذلك، مثل أبان بن تغلب ، الذي قال الشيخ الطوسي في حقه: ـ بعد أن مدحه وعظَّمه ـ : «وقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة ، وأفت الناس ، فإني أُحب أن يُرى في شيعتي، مثلك ، فجلس»[1].

ومثل معاذ بن مسلم النحوي فقد روى في حديثه عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال: بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس ؟ قلت: نعم ، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج. إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء ، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون ، ويجيء الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم فأخبره بما جاء عنكم ، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو ، فأقول: جاء عن فلان كذا وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك.

قال: فقال ليّ: اصنع كذا ، فإني كذا أصنع»[2].

لكن الفقه الشيعي لم يكن متميزاً بنفسه وبفقهائه في الصدر الأول بسبب الفتن والمآسي التي مرَّت على الشيعة ، والتي كانت السبب في تركيزهم على الجانب السياسي، واهتمامهم بتسنم أهل البيت (صلوات الله عليهم) السلطة

(١) الفهرست: ١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٨.

واســـتلامهم دفة الحكم من دون أن تتضح لهم معالم الخلاف بين أهل البيت عليهم السلام وغيرهم في الفقه، وربما كانوا يســـتفتون العامَّة ويأخـــذون الأحكام منهـــم غفلةً عـــن مخالفتهم لأهل البيت عليهم السلام فيها.

وبعد فاجعـــة الطف حيث قضي على أمل اســـتلام أهل البيت عليهم السلام الســـلطة في الزمن القريـــب المنظور، وحيث تجلت ظلامة أهل البيت وظهر حقهم، واتضحت معالم الضلال والباطل في الجانب الآخر، اتجه الشـــيعة لأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهـــم) من أجل أخذ دينهم منهم في عقائدهم وفقههم وباينوا غيرهم وأعرضوا عنهم.

ورأى الأئمـــة (صلـــوات الله عليهم) الأرضيـــة الصالحة والظرف المناسب لتركيز مفاهيمهم في شيعتهم وبث تعاليمهم لهم في العقائد والفقه ومعايير الحب والبغض والتولي والتبري، وجهـــدوا في قيام كيان علمي لهم يحمـــل تلك التعاليم ويبثها فيهم، ليستغنوا به عن غيرهم.

ويبدو اهتمـــام الإمام الباقر عليه السلام بهذا الجانب من وصيته للإمـــام الصادق عليه السلام. ففي صحيح هشـــام بن ســـالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لما حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر ، أوصيك بأصحابي خيـــراً. قلت: جعلت فـــداك ، والله لأدعنهم والرجل

منهم يكون في المصر ، فلا يسأل أحداً»[1].

وقام (صلوات الله عليه) بما وعد ، وبدأ الشيعة يقصدون علماءهـــم ويرجعون إليهم ، وتصدَّى جماعة منهم للفتيا ، كما أرشد الأئمة عليهم السلام إلى جماعة منهم .

ففي صحيح شـــعيب العقرقوفي: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نســـأل عن الشـــيء فمن نســـأل؟ قال: عليك بالأسدي. يعني أبا بصير»[2].

وفـــي صحيح عبد الله بـــن أبي يعفور: «قلـــت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كل ســـاعة ألقاك ، ولا يمكن القدوم ، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه. فقال: ما يمنعك عن محمد بن مسلم الثقفي ، فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهاً»[3].

وفي حديث علي بن المســـيب: «قلت للرضا عليه السلام: شـــقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قـــال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا. قال علي بن المســـيب: فلما انصرفت قدمنا علـــى زكريا بن آدم،

(١) الكافي : ١ / ٣٠٦.
(٢) اختيار معرفة الرجال: ١ / ٤٠٠.
(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٥.

فسألته عن ما احتجت إليه»[1].

وفي معتبر عبد العزيز بن المهتدي: «سألت الرضا عليه السلام: إني لا ألقاك في كل وقت، فعن من آخذ معالم ديني؟ فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن»[2].

كما ورد الإرجاع إلى جماعة آخرين ، مثل الحارث بن المغيرة ، وزرارة بن أعين، والمفضل بن عمر ، والعمري وابنه ، في أحاديث كثيرة لا يسعنا استقصاؤها[3].

كما ورد الارجاع للعلماء عامة من دون تعيين لشخص خاص في نصوص كثيرة منها: التوقيع الشريف المشهور الصادر من الإمام المنتظر صاحب الزمان عجل الله فرجه في أواسط عصر الغيبة الصغرى أو أوائلها: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[4]. ومنها ما يأتي عن الإمام الهادي عليه السلام.

وتكامل للشيعة فقههم واستغنوا عن غيرهم. ففي معتبر

---

(١) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٧.

(٣) أُنظر رجال الكشي: ٣٥٧، ٤٨٣، ٥٩٥. ورجال الشيخ الطوسي: ٥٠٩. ووسائل الشيعة: ١٨ / ١٠٣ـ١١١.

(٤) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠١.

محمد بن حكيم: «قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: جعلت فداك فقّهنا في الدين وأغنانا الله بكم من الناس، حتى أن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه [إلا]يحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم...»[1].

وفي كتاب الإمام الهادي عليه السلام لأحمد بن حاتم وأخيه: «فاصمدا في دينكما على كل مُسِنٍّ في حبنا وكل كثير القدم في أمرنا ، فإنهما كافوكما إن شاء الله تعالى»[2].

بل ربما كان غيرهم يرجع إليهم في معضلات المسائل، لعلمهم بأنهم قد أخذوا أحكامهم من عين صافية لا تنضب. ففي موثق محمد بن مسلم: «إني لنائم ذات ليلة على السطح، إذ طرق الباب طارق... فأشرفت فإذا امرأة، فقالت: لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت، والولد يتحرك في بطنها، يذهب ويجيء، فما أصنع؟ فقلت: يا أَمة الله سُئل محمّد بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام عن مثل ذلك، فقال: يشق بطن الميت، ويستخرج الولد، يا أمة الله أفعلي مثل ذلك. أنا ـ يا أمة الله ـ رجل في ستر، من وجّهك إلي؟ قال: قالت لي: رحمك الله، جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي، فقال: ما عندي في

---

(١) وسائل الشيعة: ١٨ / ٦١.

(٢) وسائل الشيعة : ١٨ / ١١٠.

هذا شـــيء، ولكن عليك بمحمد بن مســـلم الثقفي، فإنه يَخبر، فما أفتاك به من شيء فعودي إلي فأعلميني. فقلت لها: امضِ بســـلام. فلما كان الغد خرجت إلى المسجد وأبو حنيفة يسأل عنها أصحابه، فتنحنحت. فقال: اللهم غفراً. دعنا نعيش»[1].

وعن السياري قال: «روي عن ابن أبي ليلى أنه قدم إليه رجل خصماً له، فقال: إن هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركبها حين كشفتها شعراً، وزعمت أنه لم يكن لها قط، قال: فقال له ابن أبي ليلى: إن الناس يحتالون لهذا بالحيل حتى يذهبوا به، فما الذي كرهت؟ قال: أيها القاضي إن كان عيباً فاقض لي به. قال: اصبر حتى أخرج إليك، فإني أجد أذى في بطني، ثم دخل وخرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفي، فقال له: أي شيء تروون عن أبي جعفر عليه السلام في المرأة لا يكون على ركبها شعر، أيكون ذلك عيباً؟ فقال محمد بن مسلم: أما هذا نصاً فلا أعرفه، ولكن حدثني أبو جعفر عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: كلما كان في أصل الخلقة، فزاد أو نقص فهو عيب. فقال له ابن أبي ليلى: حسبك. ثم رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب»[2].

وقد أكد الأئمة عليهم السلام على كتابة العلم والحديث من أجل أن

(١) رجال الكشي: ١٤٦.
(٢) وسائل الشيعة: ١٢ / ٤١٠.

يحفظ العلم وينتفع الناس به، خصوصاً في عصر الغيبة، حيث لا مفزع للناس إلاّ كتب الحديث، ففي معتبر أبي بصير: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام: اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا»[1].

وفي موثق عبيد بن زرارة: «قال أبو عبدالله عليه السلام: احتفظوا بكتبكم، فإنكم سوف تحتاجون إليها»[2].

وفي حديث المفضل بن عمر: «قال أبو عبدالله عليه السلام: اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم»[3].

وبدأ فقهاء الشيعة يؤلِّفون الكتب في الأحكام الشرعية لعمل الناس التي هي أشبه بالرسائل العملية ، يحضرنا منها كتاب (يوم وليلة) ليونس بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا عليه السلام ، الذي ورد عنهم عليهم السلام في نصوص كثيرة الثناء عليه ، وإقرار العمل به[4].

وكذا كتاب يوم وليلة المعروف بكتاب (التأديب) لتلميذه أحمد بن عبدالله بن مهران المعروف بابن خانبة ،ورسالة علي بن

---

(١) وسائل الشيعة : ١٨ / ٥٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ٥٦.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ٥٦.

(٤) وسائل الشيعة: ١٨ / ٧١ـ٧٢.

بابويه القمي والد الصدوق المتوفى في عصر الغيبة الصغرى.

وكتاب (المتمسك بحبل آل الرسول) لابن أبي عقيل العماني المعاصر له، وكتاب (المختصر الأحمدي في الفقه المحمدي) لابن الجنيد المقارب لهما.

وما كتاب (من لا يحضره الفقيه) ـ الذي ألّفه الصدوق في أوائل الغيبة الكبرى ـ إلاّ رسالة عملية يرجع إليها من لا يتيسَّر له سؤال الفقيه ، وهي تتضمن فتاوى الصدوق.

ثم تتابعت الرسائل للعلماء طبقة بعد طبقة، كـ(المقنعة) للشيخ المفيد ، و(جمل العلم والعمل) للسيد المرتضى ، و(النهاية في مجرد الفقه والفتوى) للشيخ الطوسي ، (قدس الله أسرارهم الزكية) ، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

س ٢ ـ في مقدمة رسالتكم العملية ذكرتم مقدمة حول الاجتهاد والتقليد أثارت إعجاب الكثيرين، ما الذي دعاكم إلى ذلك؟

ج: كثيراً ما يختلط مقتضى التكليف الشرعي بالعادة والروتين، وتتحكم فيه العواطف والمصالح، فينحرف المكلف في تطبيق الحكم الشرعي غفلة وذهولاً عن حقيقة الحال، بل

قــد يتعمد بعض الناس ذلك ـ تبعاً للهوى ـ تســامحاً في أداء الوظيفة وتمرداً عليها.

ومن ثم يحتاج لمثل هذا الحديث تنبيهاً للغافل، وموعظة للمتمرد، وهزاً للضمائر الشــريفة، كما قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

كما أن هذا الانحراف قد يكون ســبباً في تشويه حقيقة التقليــد والمرجعيــة، لأن كثيراً من الناس لا يتســنى له أخذ الفكــرة من مصادرها الأصلية، بــل يأخذها من واقع تطبيقها العملي، فإذا خرج التطبيق عن الضوابط الحقيقية عكس صورة مشوهة للفكرة، ولا سيما وأن الاجتهاد يحمل مفهوماً آخر في الواقع القائم غير الشيعي.

فأردنــا بهــذه المقدمة بيــان حقيقة الاجتهــاد والتقليد والمرجعية عند الشــيعة بواقعها المشــرق المشرّف حسبما اقتضته الأدلة الشرعية، ومن عين صافية.

وبذلــك نكون قد قمنا بما علينا من بيان الحقيقة والدفاع عن المرجعية الصحيحة، التي قد تظلم نتيجة الفهم الخاطىء لها.

س ٣ ـ ما هي الشــروط الأساسية في مرجع

---

(١) الذاريات: ٥٥.

التقليد؟

ج: الأساس في ذلك الاجتهاد والعدالة. أما العدالة فنقصد منها المرتبة العالية، وهي التي تمنع الشخص عادةً من مخالفة التكليف الشرعي ومن الوقوع في المعصية وإن كانت صغيرة ، بحيث لو صدرت منه ـ نادراً ـ لأسرع للتوبة والإنابة لله تعالى.

وأما الاجتهاد فهو عبارة عن القدرة على أخذ الحكم الشرعي والوظيفة العملية من الأدلة المعتبرة الكافية في الخروج عن المسؤولية أمام الله تعالى. والفاقد للقدرة المذكورة جاهل لا معنى للرجوع إليه وتقليده. هذان هما الشرطان الأساسيان.

نعم ، مع العلم باختلاف المجتهدين ـ كما هو حاصل الآن ـ لابد من ترجيح الأعلم مع الإمكان ، كما أوضحنا ذلك بتفصيل في بحوثنا الفقهية[1]. ومن هنا تعدُّ الأعلمية شرطاً ثالثاً.

س ٤ ـ تعقيباً على رأيكم المتميز في عدالة مرجع التقليد ، حيث تشترطون في المرجع أن يكون على مرتبة عالية من العدالة ، وهي أرقى من العدالة المعتبرة في الشاهد وإمام الجماعة ، وفي موضع آخر ذكرتم

(١) أُنظر مصباح المنهاج، الاجتهاد والتقليد: ٦٧.

أنـه إذا تسـاوى المجتهـدان في العلـم يقدّم للتقليـد من هو أشـد ورعـاً... وهنـا يطرح سـؤال عن مدى ارتباط شـدة الورع بالتقليد الذي هو اتباع العالم بالحكم الشرعي ؟

ج : رأينا في عدالة مرجع التقليد نابع من أن الأمانة كلَّما عظمت وجلّت احتاجت إلى التحصين بملكة رادعة عن الخيانة بنحو أقوى وآكد.

وبعد غياب العصمة عن مقـام التبليغ بأحكام الله تعالى والقيـام بالوظائـف الدينيـة لا رادع عن التلاعـب بالأحكام وضياعها والتفريط في الوظائف الدينية إلا قوَّة العدالة وشدَّة الخوف من الله تعالى.

فالمرجع في التقليد يتعرض..

أولاً : للضغط النفسـي عند اختيار الحكم واستنباطه من الأدلة ، فإن أدلة الأحكام غير منضبطة ، والنفس بطبعها تميل للفتـوى بما يطابق الظنون والقناعـات والعواطف ، فقد يجنح الباحث للحكم، وتلبس عليه نفسـه ، فيسـتوضح الأدلة عليه بسبب ذلك ، وقد يؤتى حظاً من القدرة على الاستدلال واللحن بالحجة ، فيبرز ما ليس دليلاً بصورة الدليل.

ولا حاجز له عن التلاعب أو التسامح أو التغافل في ذلك

إلاّ الخوف من الله تعالى، وشـــدة الحذر من نكاله، حين يلتفت إلى أن الخصم المحاسِـــب هو الله تعالى الـــذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يُخدع بالحجج الواهيـــة ، فإنه حينئذ يتجلَّى له أن ما يقيمه من الأدلَّة هل يصلح لأن يكون حجة له مع الله تعالى، وعذراً بين يديه أو لا ؟ فيحمله ذلك طبعاً على استفراغ الوسع، واســـتكمال الجهد لمعرفة الأدلة الحقيقيـــة، والوقوف عندها واستنباط الحكم على أساسها.

وثانياً : للضغوط الأُخرى الخارجة عن مقام الاستدلال ، إذ كثيراً ما يكون الحكم الذي تقضي به الأدلة الشـــرعية غير ملائم لرغبات الســـلطان، أو العامَّة، أو غير مناسب للظروف القائم، أو العواطف المتأججة .

كما قد يتعرض لضغط الأنانية ، بلحاظ حب الظهور في الابتكار والتميُّز عـــن الآخرين، أو في التجديد والعصرنة ، أو في التســـهيل من أجل اســـتقطاب أكبر عدد ممكن من الناس، إلـــى غيـــر ذلك ممـــا يدعو إلـــى محاولة التخلـــص من قيود الأدلة الشـــرعية الحقيقية ، والالتفاف عليها، والتشبث بالشُبه والمبررات للخروج عنها.

ونحـــن نـــرى أن كثيراً مـــن ذوي العلـــوم العملية التي تكون نتائج الخطأ فيها ظاهرة ـ كالطب والهندســـة ـ قد يخون

أمانته تسامحاً أو تعمداً لبعض الدواعي المادية ـ ولو مثل الكسل والضجر ـ ويتحمل تبعات عمله وأقلها ظهور الخطأ عليه وفشله في مهمته عاجلاً أو آجلاً ، فكيف بمثل علم الفقه الذي لا يظهر الخطأ والتفريط فيه لعامَّة الناس ؟! وكيف يؤمن ذلك فيه لولا شدة التقوى والورع وقوة ملكة العدالة ؟!

وثالثاً : أن مرجع التقليد بحكم مركزه معرض لكثير من المخاطر الدينية ؛ بسبب ابتلائه بالأموال، وامتلاكه للجاه واحتكاكه بالناس ، وذلك يجعله معرَّضاً للدواعي الغضبية والشهوية والنزغات الشيطانية ، فإذا لم يتحصَّن بقوَّة الورع والتقوى كان معرضاً للسقوط والهلكة ، ولتشويه صورة المرجعية والدين.

كل ذلك مما يؤكد حاجة مرجع التقليد إلى شدة التدين وكونه بمرتبة عالية من العدالة والورع وتقوى الله تعالى.

وعلى ذلك جرى شيعة أهل البيت عليهم السلام بمرتكزاتهم وإجماعهم العملي على مرّ العصور، وهو من أقوى الأدلة في المقام، مدعوماً ببعض النصوص المذكورة في محلها، وبذلك صار للمرجعية وجهها المشرق ونورها المتألق.

ولذا نرى الشيعة يكنّون لمراجعهم قدسية عالية لا وجه لها لولا أنهم يفترضون فيهم القرب من الله تعالى بورعهم

وتقواهم، وقيامهم بوظيفتهم الشـــريفة وهي إيصال أحكام الله تعالى لعباده وتقريبهم منه.

ونســـأله ســـبحانه وتعالـــى أن يثبـــت هـــذه الطائفـــة علـــى هذا النهـــج اللاحـــب، والطريق الواضح، ويســـددها في جميـــع أمورهـــا ، ويعصمهـــا من الزيـــغ والانحـــراف ومن مضـــلات الفتن ، إنـــه أرحـــم الراحميـــن وولـــي المؤمنين.

هذا كله بالإضافة إلـــى أصل اعتبار كون العدالة بمرتبة عالية ، وأما ترجيح الأورع عند تســـاوي المجتهدين في العلم فهـــو يبتني على أن التخيير عند تســـاوي المجتهدين في العلم مخالف للأصل ، والمتيقَّن حينئذ جواز تقليد الأورع.

وتفصيـــل الكلام في ذلك في المطوّلات ،وقد اســـتوفينا الكلام فيه في كتابنا الفقهي الاستدلالي (مصباح المنهاج).

س ٥ ـ يطـرح البعـض سـؤالاً عـن المبـرر لتقليد الفقهاء واتباع اجتهاداتهم الفقهية مع أنها قد لا تصيب الحكم الشـرعي الواقعي ، فما هو نظركم حول الموضوع؟

ج: لا ريـــب في أن خطأ الفقهاء وضياع الحكم الشـــرعي الواقعي من مآســـي الدين العظيمة، التي يتحمَّل تبعتها الطُّغاة

الذيــن غصبوا أهــل البيت عليهم السلام حقَّهم، حيث صار ذلك ســبباً لضياع الأحكام الشرعية.

غير أنه بعد أن حصل ذلك، فالرجوع للفقهاء بالشــروط المقرَّرة شرعاً هو الحل الشرعي الوحيد المبرئ للذمة والذي يخرجنا من مســؤولية التكليف مع الله تعالى ، لأنه يستند إلى حجج شــرعية كافية في المعذِّريَّة عنــد الخطأ، وعدم إصابة الواقع.

كما أنه الحل الأمثل الــذي يجري الناس على نظيره في جميع أُمورهم التي يحتاجونها، والتي يتعرَّضون للخطأ فيها ، كالطب والهندسة وغيرهما.

ولا بديل عن ذلك إلا أحد أمرين ، إما تعطيل الشــريعة بإهمال الأحكام وترك العمل عليها ، أو أخذها من الطرق غير الشرعية ، كالظنون والتخرصات التي منع الله سبحانه من العمل بها ، واجتهاد من ليس أهلاً للتقليد ، ومن الظاهر أن كلا الأمرين أشــد محذوراً من الرجوع للفقهاء ، بــل لا يرضى بهما عاقل.

س ٦ ـ هل يمكن توضيح أدلة وجوب تقليد الأعلم؟

ج : الإنســان بطبعه إذا احتاج للعمــل فيما يجهله يرجع

للعالــم به ، وعلى ذلك جرت ســيرة الناس فــي جميع أمور معاشهم ومعادهم ، كالطب والهندسة وعلم الدين وغيرها.

وعليــه دلت الآيــات الكريمة والأحاديث الشــريفة عن المعصوميــن عليهم السلام المتضمنة للرجوع للعلمــاء والفقهاء. وهو حينئــذ يكتفي بطبعه تبعاً لمرتكزاته بمن يتيســر له الوصول إليه من العلماء وأهل المعرفة، من دون أن يتقيد بالأعلم.

أما إذا التفت لاختلاف العلماء وأهل الفن فيما وصلوا إليه وفيمــا هو مورد الحاجة له ـ كما هو الحال في عصورنا حيث ظهر اختلاف فتاوى العلماء في رســائلهم العملية ، وبســبب البعد عن منابع التشــريع ومصادره وتعقد مقدمات الاجتهاد ـ ، فإنه لابد أن يتوقف ويفحص عن الحق من الأقوال ، لرجوع اختلافهــم إلى أن كل عالم يخطّئ الآخر فيما وصل إليه ، ومع تخطئة بعضهم لبعض فما المبــرر للرجوع لهم والعمل بقول بعضهم دون بعض؟!

ولذا ورد في كثير من الموارد رجوع الشيعة للأئمة عليهم السلام عند اختلاف العلماء ، لأن قولهم عليهم السلام هو الفصل في تمييز المخطئ من المصيب، ومعرفة الحق من الباطل.

ففي حديث خيران الخادم: «كتبت إلى الرجل عليه السلام أســأله عن الثوب يصيبه الخمر ولحم الخنزير أيصلي فيه أم لا؟ فإن

أصحابنا قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم: صلّ فيه ، فإن الله إنما حرم شـــربها ، وقال بعضهم: لا تصل فيه. فكتب عليه السلام: لا تصل فيه ، فإنه رجس...»[1].

وفـــي حديث ســـماعة عن أبي عبد الله عليه السلام: «ســـألته عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمر كلاهما يرويه ، أحدهما يأمـــر بأخذه والآخر ينهاه عنـــه ، كيف يصنع؟ قال: يرجئه حتى يلقى من يخبره فهو في ســـعة حتى يلقاه»[2]. إلى غير ذلك.

نعم مع تعذر معرفة الحق ، لعدم تيسر الرجوع لمن قوله الفصل ـ كما هو الحال في عصرنا هذا عصر الغيبة والمحنة ـ فالأعلمية من المرجحات العقلائية التي يعتمد عليها الناس في جميع أمورهم.

وهـــل يمكن لعاقل أن يعتمد في أمور معاشـــه في الطب والهندســـة والقوانين الوضعية وغيرها على قول غير الأعلم، وترك قول الأعلم عند اختلافهما ؟! فكيف بأمر الدين الذي به السعادة والنجاة من الهلكة الدائمة ؟! وكيف يمكن التفريط به باتبـــاع غير الأعلم عند الاختلاف ؟! وبماذا يجيب الله تعالى إن

(١) وسائل الشيعة: ٢ / ١٠١٧.
(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ٧٧.

سأله يوم يعرض عليه ويقف بين يديه ؟!

وهل تكون أوامر الله تعالى ونواهيه أهون من الأمور الطبية والهندسية والقوانين الوضعية ونحوها من أمور الدنيا الفانية ، ليتسامح فيها ؟! وكفى بهذا دليلاً للمنصف، وحجة على المتعسف.

س ٧ ـ بعض الناس يصور عدم وجوب تقليد الأعلم بأن الأحكام الفقهية ليست بتلك الدرجة من الأهمية ، بحيث يفترض في الإنسان مراجعة الأعلم ، مثل الحالات المرضية العادية ، فإن الإنسان يراجع فيها أيّ طبيب كان ، لا خصوص الأعلم . فما هو تعليقكم على ذلك؟

ج: لا ندري كيف يصدر هذا الكلام من مؤمن؟! وحرمة الأحكام الشرعية من حرمة الله تعالى الذي شرَّعها ، وسوف يحاسب عليها ، وهو الذي يقول في حق أحب خلقه إليه وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

وفي صحيح أبي ولاد عن الإمام الصادق عليه السلام في التعقيب

---

(١) الحاقة: ٤٤-٤٧.

على قضاء لأبي حنيفة قال عليه السلام: «في مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركتها»[1].

وأما الرجوع في الحالات المرضية العادية لغير الأعلم، فهو إنما يصح عند العقلاء في حالتين..

الأُولى: أن لا يعلم بالخلاف بين الأعلم وغيره، فيرجع لغير الأعلم لتخيل سهولة معرفة الحالة، بحيث يعرفها الأعلم وغيره، وهو خارج عن محل الكلام لما سبق (في جواب السؤال السادس) من أن وجوب الرجوع للأعلم في الأحكام الشرعية إنما هو بسبب العلم بالاختلاف بين العلماء في الأحكام التي يبتلي بها المكلف.

الثانية: ما إذا تعذَّر العمل بقول الأعلم، وتيسَّر العمل بقول غير الأعلم مع كونه مأمون العاقبة. كما إذا كان الدواء الذي وصفه الأعلم صعب التحصيل لا يتيسر للمريض استعماله، والدواء الذي وصفه غير الأعلم متيسراً ومأمون العاقبة، فإن المريض قد يستعمل الدواء الذي وصفه غير الأعلم برجاء الفائدة مع كونه مأمون الضرر. وهو في الحقيقة نحو من الاحتياط الذي هو حسن ولا محذور فيه قطعاً.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٣ / ٢٥٦.

وهذا لا يجري في الأحكام الشـــرعية التي يحرم نسبتها لله تعالى، والتعبد بها والعمل عليها، إلا بحجَّة وافية بالعذر عند الحســـاب ، وإلا كان العبد مستحقاً لنكال الله تعالى ومتعرضاً لعقابه. نعم لا بأس بمتابعة غير الأعلم إذا كان قوله أحوط، لما سبق من حسن الاحتياط.

وفي ختام هذا الحديث نودَّ التنبيه إلى أُمور..

الأول : إن الذي يبدو من كثير من هذه الأسئلة ـ ذات الطابع العلمي الاستدلالي ـ أن هناك حاجة للتعرض لهذه الأُمور بسبب إشغال الســـاحة بالحديث فيها على الصعيد العام. وهي أُمور قد أطال العلماء وأهل الاختصـــاص ـ بعد البحث والتمحيص ـ في الاســـتدلال عليها بدقة تدريساً وتحريراً في كتب كثيرة.

وحينئـــذ فالحديث فيها على الصعيد العـــام إن كان من غير أهل الاختصاص فعليهم أن يتنبَّهوا إلى أن هذه مســـائل علميَّة دقيقة لا تعالج بهذه الســـهولة والسطحية ، بل هي شأن مســـائل باقي العلوم ـ كالطب والهندســـة ـ توكل للمختصين الذين يمتلكون ـ بفضل جهود مضنية لسنوات طويلة ـ العمق العلمي في علم الفقه وما يرتبط به من علوم أُخرى ، فهؤلاء هم القادرون على الإحاطـــة بأدلَّة الدعوى وبراهينها ومداخلاتها، وعلى استيعاب ذلك كله.

وإذا كانوا يطمئنون للأطباء والمهندسين وغيرهم من أهل العلوم والفنون في علمهم وفنهم، ويكلون أرواحهم وأموالهم وشؤونهم إليهم ، فلماذا لا يطمئنون لعلماء الدين في علمهم ؟! أترى أولئك أوثق من هؤلاء في علمهم ودينهم، وأبعد عن الخطأ والخيانة منهم ؟! وهل يرضى المؤمن المنصف لنفسه بذلك ؟!

وإن كان الحديث عنها ممن يعدّون أنفسهم من أهل الاختصاص، فالظاهر أن الأدلة الشرعية في ذلك أوضح من أن تخفى عليهم.

على أن المفروض فيهم بحث هذه الأمور مع أهل الاختصاص الذين يحسنون الأخذ والرد فيها ، وتمحيص الأدلة – إثباتاً أو نفياً – عليها ، ولذا لا تطرح النظريات العملية في العلوم الأخرى إلا بعد أن يفرغ منها أهل الاختصاص بحثاً وتمحيصاً.

ولا يحسن صدمة المجتمع الإيماني العام بها، بنحو يوحي لهم بأنها حلول إصلاحية شرعية، غفل عنها علماء الدين أو تغافلوا عنها ؛ لجمودهم على الماضي، أو لاستفادتهم منه مادياً... إلى غير ذلك من الأقاويل ، مما يؤدي إلى زعزعة الثقة بهم، وحيرة الناس في أمرهم، وإحداث البلبلة بين المؤمنين.

أما إذا كانت وجهة نظر هؤلاء أن هذه الحلول ليست

حلــولاً شــرعية ، ليطرحوها مع أهل الاختصــاص، ويبحثوا معهم في أدلتها الشرعية الكافية ، بل هي حلول آنية تقتضيها طبيعة المرحلة التي نعيشــها، تجنباً لما يتخيلونه من سلبيات في الحلول الشــرعية ، فهم يحاولون إقناع عموم الناس بها ، ليرتضوها بدلاً من الحلول الشــرعية التــي يقف علماء الدين عندها ولا يتجاوزونها ، فليصرحوا بالحقيقة ويوضحوا وجهة نظرهم هــذه على وجهها إن كانوا مثاليين ، ليعرف المؤمنون على ماذا يقدمون ، ومع من يتعاملون ، وماذا يراد بهم.

ولماذا هذا التشــكيك في الأدلة الشــرعية، والتغافل عن مداخلاتها والتشــبث بدعاواهم بتقريرات خطابية واهية بنحو يوهم أنها أدلة شــرعية ، وهي ﴿...كَسَــرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَــبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1].

الثاني: أن ثوابت التشــيع وركائزه في العقائد والتاريخ والفقه لم تثبت إلا بعد البحث والتمحيص ، ولم يتســالم علماء الشيعة عليها إلا بعد أن عرفوا رأي أئمتهم المعصومين عليهم السلام الذين عاشوا معهم ما يزيد على ثلاثة قرون تكفي في بلورة العقيدة واتضاح معالمها وثوابتها ، ولم يفارقهم الأئمة عليهم السلام حتى عرفوا

(١) النور: ٣٩.

منهم ذلك، وأقاموا الحجة الكافية عليها ، وإلا فمن غير المعقول أن يفارق الأئمة عليهم السلام شيعتهم من دون أن يتموا الحجة في ذلك.

ولا نريد بذلك أن نفــرض عقائدنا على المؤمنين فرضاً على نحو التقليد الأعمــى ، بل كل ما نريده هو أن يتثبتوا عند صدمتهم مــن بعض الناس بالتشــكيك أو الإنكار، ويحاولوا الفحص عن حقيقة الحال ، بالرجوع لأهل البحث والتحقيق من ذوي الأمانة والورع ، ولا يُستَغفَلوا بتوهم أن هؤلاء لم يتكلموا بما تكلموا به إلا بعد الفحص والتثبت ، لحسن ظنهم بهم. فإن ذلك تفريط في الدين والعقيدة، وضياع لهما بوجه لا يعذر فيه العبد أمام الله تعالى.

ولا ســيما مع ما ورد عنهم عليهم السلام مــن أن أمرهم في ذلك اليوم أبين من الشمس[1].

حيث يدل ذلك على أن شبهات التشكيك والإنكار واهية يظهر بطلانها للمتبصر ، ولكنهــا الفتنة والخذلان اللذين وعد الله تعالى بهما في قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّــا وَهُمْ لَا يُفْتَنُون ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿أَأَمَّا

(١) الكافي: ١ / ٣٣٦.
(٢) العنكبوت: ٢ ـ ٣.

كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾[1] وغير ذلك.

ووعـــد بهما الأئمـــة (صلوات الله عليهـــم) خصوصاً في عصر الغيبة.

ففي حديث منصور قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا منصور إن هذا الأمر لا يأتيكم حتى تتميزوا، ولا والله لا يأتيكم حتى تمحصوا، ولا والله لا يأتيكم حتى يشـــقى من شقي ويسعد من سعد»[2].

وفي حديث جابـــر الجعفي قال: «قلـــت لأبي جعفر عليه السلام: متـــى يكون فرجكم؟ فقال: هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلـــوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ـ يقولها ثلاثاً ـ حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصفو»[3].

وفي حديث المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أمـــا والله ليغيبـــن إمامكم ســـنيناً من دهركـــم ولتمحصن... ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلاّ من أخذ الله ميثاقه»[4]... إلى غير ذلك ممـــا يجب أن يتهيأ معه المؤمن

(١) آل عمران: ١٧٩.
(٢) إكمال الدين: ٣٣٤.
(٣) الغيبة، للشيخ الطوسي: ٢٠٦.
(٤) الكافي: ١ / ٣٣٦.

للامتحان، ويعد عدته له، ولا يسترسل في أمره، فإن صرعة الاسترسال لا تستقال.

الثالث : الأمل بإخواننا المؤمنين (وفقهم الله تعالى) أن ينظروا إلى ما ذكرناه بعين التدبر والتبصر ، وبحسابات العقل الذي منّ الله تعالى به على الإنسان ورفع به شأنه، وأقام عليه به الحجة، وبه يثيب ويعاقب .

ويحذروا من النظرة العاطفية والانفعالية التي لا تستند إلى ركن وثيق ، بل إلى الانخداع ببهرجة الأقوال وجمال الطرح والصورة ، من دون تبصر في العواقب.

وليحذروا أيضاً من التعصب والتقليد الأعمى، إعجاباً بصاحب الدعوى ، أو بسبب الانتماء لخطه والاقتناع به، من دون نظر في التفاصيل. فإن ذلك قد يجرّ للمآسي والمهالك بنحو لا يمكن تداركه.

وليعلموا أن المسؤولية عظمى، والحساب عسير ، وأن المحاسب هو الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية ، وقد أتمَّ الحجة وأكملها.

س ٨ ـ كيف نستطيع تمييز الأعلم من بين المجتهدين؟

ج : العاجز عن الفحص بنفسه ليس له إلا الرجوع إلى أهل الخبرة ، فإن الشيعة في عصور حضور الأئمة عليهم السلام كانوا كثيراً ما يرجعون إليهم عليهم السلام لتعيين من يرجعون إليه في أمر دينهم ، كما أشرنا إلى ذلك (في جواب السؤال السادس).

أما في عصر الغيبة وتعذر الرجوع لهم عليهم السلام فليس هناك شيء أقرب وأوصل من الرجوع لأهل الخبرة ، وهم الذين بلغوا من العلم مرتبة تؤهلهم للتمييز بين المجتهدين، بعد الإطلاع على آرائهم العلمية في الأصول والفقه ، وعلى طريقة كل منهم في الاستدلال، ومدى فهمه للأدلة ، حيث قد يتضح لهم الأعلم حينئذ، فتجوز لهم الشهادة في ذلك ، ويقبل قولهم.

نعم لابد من ابتناء شهادتهم على إحاطتهم بآراء أطراف التفاضل ومبانيهم العلمية وطرائقهم في الاستدلال ونحو ذلك، ولا تكفي القناعات والظنون غير المبتنية على ذلك، فضلاً عن المؤهلات الأخرى للمرجع غير العلمية.

س ٩ ـ هل يجوز الاعتماد على الحدس في تعيين الأعلم؟

ج : لا يجوز للإنسان الاعتماد على حدسه لعمل نفسه بأن يقلد اعتماداً على الحدس ، لأنه من أتباع الظن والعمل به

الذي تظافرت الآيات والأحاديث بالمنع منه ، وأنه لا يغني من الحق شيئاً. إلا أن يبلغ مرتبة القطع واليقين ، فيجوز.

كما لا يجوز له الاعتماد على حدسه من دون فحص عن حال الآخرين في الشـــهادة للغير بأعلمية شـــخص ليقلده ، إذ لابد في الشـــهادة من اليقين عن حس وممارســـة، قال تعالى: ﴿أَشَـهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَـهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[1].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «هل ترى الشـــمس ؟! على مثلها فاشهد أو دع»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تشـــهدن بشهادة حتى تعرفها كما تعرف كفك»[3].

بل لا يجوز للغير الاعتماد على الشهادة الحدسية حتى لو كان الشاهد ـ من أهل الخبرة ـ قاطعاً في حدسه متيقناً ، بل يشترط في حجية الشهادة الحسّ كما سبق في جواب السؤال الثامن.

س ١٠ ـ قضيـة تعدد المراجـع الدينيين هل تعتبرونهـا حالـة طبيعيـة ، أو لا ؟ ومـا هـي

---

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨ / ٢٥١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨ / ٢٣٥.

إرشاداتكم لمقلديكم بهذا الخصوص ؟

ج : لا ريب في أنها من الحالات الطبيعية، بعد أن كانت أهليَّة المرجع للتقليد وأعلميته من الأُمور الحدسية القابلة للاختلاف ، وبعـد أن كان للمكلف الاختيار في تعييـن المرجع عند تعذر معرفة الأعلـم له وعجزه عن الاحتياط أو لـزوم الحرج منه.

وبعد غياب العصمة قد تكون فـي تعدد المراجع بعض الإيجابيـات ـ أحياناً ـ لأن وحدة المرجع قد تعرضه للاندفاع فـي الجري على قناعاته من دون ترو وتثبُّت بنحو قد لا تحمد عواقبه .

كما أنها قد تضفي عليه هالة من الجلالة والقدسية ، تجعل من سيرته سنة ثابتة لا يمكن الخروج عنها ، وتمنع من النظرة الموضوعية لها وإخضاعها للنقد والتعديل. بل قد يتعدى ذلك لآرائه الفقهية ، بنحو يعيق عملية الاجتهاد من بعده.

نعم، لا ريب في أن لتعدد المراجع سلبيات أيضاً لا يستهان بها ، لكنها سلبيات لابد منها بسبب فقد المرجعية المعصومة، نتيجة غيبة الإمام عليه السلام، وينبغي أن تكون مثاراً للحسرة لغيبته، ولانتظار الفرج بظهوره ، وللنقمة على الظالمين الذين تسببوا في غيبته، وحرموا الأُمَّـة من خيرات حضوره وتوليه لإدارة أمور المسلمين بنفسه.

وعلى كل حال فهذه المرجعية بسلبياتها تبقى هي الحل الأفضل بعد أن تعذَّرت المثالية الكاملة بفقد المرجعية المعصومة.

أما وصيتنا لمقلدينا (وفقهم الله تعالى) فهي أن اختلاف التقليد لا ينبغي أن يكون منشأً للفتنة، ولا سبباً للفرقة ، ولا مثاراً للتنابز، والتهاتر، والشحناء، والبغضاء . وعليهم احترام الآخرين ما داموا قد عملوا بموازينهم الشرعية التي قامت الحجة عندهم عليها ، والتلاحم والانسجام معهم ، والتعاون في سبيل الحق، وخدمة المبدأ. ولو فرض خروج البعض عن الميزان الشرعي في اختيار المرجع فاللازم الاقتصار على تنبيهه لخطئه بهدوء وحكمة، بعيداً عن العنف والتشنج والتشنيع ونحو ذلك من ما يعقد الأمور ويكون سبباً في إثارة المشاكل والفتنة.

هذا كله مع تبجيل العلماء العاملين المتقين، وحفظ حقهم، وتعظيم حرمتهم، شكر الله تعالى سعيهم، وأجزل أجرهم، وسدد خطاهم، ونفع بهم ، وجعلنا ـ بتوفيقه ـ منهم.

س ١١ ـ تطرح في بعض الأوساط فكرة المرجعية المؤسساتية ، بأن تشكل لجنة من العلماء ، وينحصر بها مهمَّة اختيار المرجع الديني ، ما هو نظركم إلى هذه الفكرة؟

ج : نظرتنا إلى هذه الفكرة تشابه نظرتنا إلى فكرة تعيين الخليفة على المسلمين من قِبَل أهل الحلّ والعقد، التي تبنَّاها المخالفون لخط أهل البيت عليهم السلام.

بل تلك الفكرة فرضت نفسها بالقوة اعترافاً بالأمر الواقع واستسلاماً له ، وقد تحكَّمت القوَّة في تفسيرها وبيان حدودها ، حتى بقيت بلا تفسير ولا حدود ، وصارت عبارة أُخرى عن تعيين الخليفة بالقوة باسم أهل الحل والعقد ، وحتى آل الأمر بالنتيجة إلى اضمحلالها حين استغنت القوة عن الخلافة ، فألغتها واكتفت بالسلطة.

أما المرجعية عندنا فحيث كانت دينية ـ من أجل الخروج عن عهدة التكاليف الشرعية، وبراءة الذمة منها أمام الله تعالى ، وحصول العذر بين يديه يوم يعرضون عليه، ويناقشهم يوم الحساب ـ فلابد من ابتنائها على الأدلة الشرعية الكافية التي تصلح حجة بين يدي الله تعالى يوم العرض الأكبر .

والمرجعية الحرة ـ حيث يفترض حرية كل شخص في اختيار المرجع الذي يقلده ويقتنع بقيام الحجة الشرعية عليه ـ التي جرى عليها الشيعة هذه القرون الطويلة، من عصور الأئمة عليهم السلام إلى يومنا هذا، قد ثبتت مشروعيتها بالأدلَّة والبراهين الكافية، التي أجهد علماؤنا (رضي الله عنهم ورفع

درجاتهم) أنفسهم في تشييدها على خلاف منهم في كثير من الخصوصيات .

ولا يسع العامة إلا الاحتياط لأنفسهم، ببذل الجهد لمعرفة من هو أهل للتقليد بالطرق الشـــرعية ، كمـــا يبذلون جهدهم لمعرفة ســـائر الموضوعات الشـــرعية ، كعدالة إمام الجماعة الذي يصلُّون خلفه ، والشـــاهد الذي يقبلـــون قوله ، وطهارة الماء الذي يتوضؤون به ، وملكيَّـــة الثياب التي يصلون فيها، والأموال التي يتعاملون بها ، و﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1].

أما المرجعية المؤسساتية ـ حيث يفترض فيها انحصار الشـــرعية بمن تختاره المؤسسة ـ فلا يمكن فاعليتها دينياً إلاّ بإقامة الدليل الشـــرعي ـ الكافي في العذر ـ عليها وعلى جميع أركانها ومقوماتها ، مثل من له حق تشـــكيل اللجنة . وتحديد صلاحيتها مـــن حيثية نصب المرجع فقط، أو الرقابة عليه، أو عزله إذا فقد الأهلية .

وتحديد عدد أعضائها ،ومرتبتهم من العلم والتقوى ،وكيف يعرف ذلك فيهم ، وما هو الموقف عند اختلافهم... إلى غير ذلك.

ثم إذا كان الغرض من المرجعية المذكورة رفع الاختلاف

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

فلابد من كون تلك الأدلة قطعية إجماعية غير قابلة للتشـــكيك والخلاف. ولا يظن بأحد توهم إمكان ذلك بعد أن مضى على عصر بيان التشريع أكثر من ألف عام من حين غيبة الإمام ﷺ.

وهل من المعقول أن يغيب الإمام عليه السلام عن شـــيعته غيبة يتوقـــع طول أمدهـــا ـ كما يظهر من النصـــوص[1] ـ من دون أن تتضـــح لهم معالم مرجعيتهم في أحكامهم الشـــرعية التي يبتلـــون بها كل يوم، بإنتظار مرجعية تقترح بعد أكثر من ألف عام لا يعلم من يقترحها ، ولا كيف يقترحها؟!

هذا كله من الجانب الشـــرعي. أما بملاحظة الســـلبيات والإيجابيـــات ، فنحـــن لا ننكر الســـلبيات للمرجعية الفردية ، الناشـــئة من عدم الضابـــط للتصدي للمرجعيـــة ، ومن تعدد المرجعيات، وتباين وجهات النظر، وعدم استفادة المرجعيات اللاحقة في كثير من الحالات من إمكانيات المرجعيات السابقة ، وغير ذلك ، إلا أن ذلك لاينبغي أن يؤجج العاطفة نحو التغيير مـــن دون موازنـــة بين البديليـــن، ومقارنة بيـــن إيجابياتهما وســـلبياتهما، والتدبر في الأصلح منهما، والأجدى عملياً ، فكم جرّ الاندفاع العاطفي إلى مآس وفجائع لا تدارك لها.

وإن المرجعيـــة الفرديـــة ـ مع ما فيها من ســـلبيات ـ قد

(١) أُنظر كمال الدين: ٣٧٨ .

أثبتــت جدارتها هذه المدّة الطويلة في قيادة التشــيع، وتكامل كيانه، ورفع شــأنه، ووضوح حجتــه، والحفاظ على واقعيته، وعدم مســاومته على مبادئه ، واستقلاله في دعوته، من دون أن يســير في ركب القوى العالمية الفاعلــة، ويخضع لها، أو يتجمد أمامها، ويسكت عن فضحها.

والملفت للنظر أن الإسلام الذي أراد الله تعالى له الخلود والبقاء؛ لتقوم به الحجة على الناس، قد انشق بعد النبي صلى الله عليه وآله ذلك الانشــقاق المعهود الخطير ، فكانت الغلبة لمن استلم السلطنة، وصار هو الممثل للإسلام، الناطق باسمه في دعوته وفتوحه وغنائمه ومكاسبه .

وكان الإسلام الشيعي ـ الذي غرس رسول الله صلى الله عليه وآله بذرته المباركــة في أول الدعــوة، وأقام قواعده فــي أواخر حياته وأكملهــا ، وأتمّ الله ســبحانه الحجة عليــه وأوضحها – بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله محتضَراً يكاد يلفظ أنفاســه، قد تمسَّكت به القلة المؤمنة المغلوبة أمرها ، وهي لا تســتطيع أن تنطق باسمه ، لأنه غير معترف به على أرض الواقع .

ثم استردَّ التشيُّع أنفاســه، وبدأ مسيرته الهادئة بعناية الله تعالــى وصبــر الأئمــة عليهم السلام وحكمتهم، وثبات شــيعتهم ، والتضحيات الجسام التي حصلت من أجل ذلك ، حتى فرض

نفســـه على أرض الواقع، وبدأ الاعتراف به تدريجاً، والتعامل معه على أســـاس هـــذا الاعتراف ، إلى أن ظهر على الســـاحة العالمية الآن، وإذا به الممثل الحق للإسلام ، الناطق بدعوته ، والذي تخشـــاه قـــوى الكفر العالميـــة، وتجنـــدت لمحاربته، مســـتعينة ببعض الفرق الشاذة المنتســـبة للإسلام ، وبذوي النفـــوس المريضة ، والاتجاهات المنحرفة ، وليس له من قائد ظاهر ـ بعد غيـــاب القيادة المعصومـــة ـ إلا المرجعية الحرة معتضدة بتسديد الله تعالى ورعاية إمام العصر عليه السلام الذي ينتفع به في غيبته كما ينتفع بالشمس إذا غيبها السحاب[1].

ونستطيع أن نتعرف على أهميَّة هذه القيادة التي استمرت ما يقرب من أحد عشر قرناً، إذا قارنّا التشيع حين استُلمت قيادته بالتشيع في هذا العصر ، ولاحظنا صفاءه ونقاءه، وما حصل عليه من مكاسب كبيرة على أرض الواقع في هذه المدة الطويلة.

ويزيد ذلك وضوحاً بالمقارنة مع بقية طوائف المسلمين ، وكيف كانت، ثم أين انتهت في مسيرتها هذه المدة الطويلة.

ومن النكات المضيئة، المثيرة للدهشـــة والإعجاب بهذه المرجعية، أن التشـــيع الذي كان محروماً من الســـلطة قروناً طويلة قد قامـــت له في إيران قبل عدة قـــرون دولة قوية، قد

(١) أُنظر بحار الأنوار: ٣٢ / ٢٥٠.

باركتها المرجعية، وانسجمت معها مدة من الزمن ، إلا أنها لم تنصهر بها ، ولم تندمج معها ، كما اندمجت المؤسسات الدينية لبقية فرق المسلمين مع الدول التي قامت باسمها .

بل بقيت المرجعية في دور الرقيب، متمسكة بمبادئها وكيانها، محاولة تعديل مسيرة الدولة ما وجدت لذلك سبيلاً ، فإذا لم تستجب لها أُنكرت عليها، ورفضت مواقفها ، ووقفت منها كما تقف من الدول الأُخرى ، وإن سبّب ذلك للمرجعية والحوزات التابعة لها المتاعب والمصاعب وعرّضها للمآسي والفجائع.

كل ذلك لأصالة هذه المرجعية وصلابتها ، ولأن نظامها ـ غير المنضبط بضوابط محددة ـ لا يمكن السيطرة عليه ، ولا يتيسر تسييره في فلك الدولة أو غيرها.

وتتجلى ثمرة ذلك في مقارنة ظاهرة بين مصطفى كمال (أتاتورك) في تركيا، ورضا بهلوي في إيران، فقد جاءا في وقت واحد، بعد اكتساح قوى الاستعمار الغربي الكافر للشرق الإسلامي ، وهما يحملان مخططاً واحداً، للقضاء على البقية الباقية للإسلام في المنطقة ، وزاد مصطفى كمال على رضا بهلوي بإلغاء الخلافة التي لها قدسية خاصة عند المسلمين ، وبإعلان علمانية الدولة ، وبفصل الأتراك عن تراثهم الثقافي بتبديل الأبجدية العربية بالأبجدية اللاتينية.

ونجح في مشاريعه وبقيت نتائجها إلى الآن ، ومع ذلك فهو حتى الآن له شعبية في تركيا لا يستهان بها.

أما رضا بهلوي فقد ارتد خاسئاً في مخططه، وصار لعنة الشعب الإيراني في عهد الحكم البهلوي ، فضلاً عما بعد زواله ، على أن حكمه أطول مدة ، وهو على الدين أخف وطأة.

وهناك كثير من النكات المضيئة في مسيرة هذه المرجعية عبر القرون الطويلة والمنعطفات التاريخية الهامة يضيق المقام عن التعرض لها ، ويستطيع الباحث المنصف التعرف عليها.

أما المرجعية المؤسساتية ـ بمعنى أن تقتصر الشرعية على اختيار هذه المؤسسة ـ فهي لم تمرّ حتى الآن بالتجربة على أرض الواقع الشيعي ، ولا يمكن أن تمر بها بعد ما سبق من الحديث عن الجانب الشرعي ، إلا أنها تبقى فكرة وأُمنية تثار ـ بحسن نية أو بسوء نية ـ ضد المرجعية الفردية عند ملاحظة السلبيات التي سبقت الإشارة إليها ، والتي قد تُضخَّم من أجل تأجيج العواطف ضدها، في محاولة القضاء عليها، أو إتعابها في مسيرتها ، مع الغفلة أو التغافل عن سلبيات المرجعية المؤسساتية.

وأهمها: أن حصر حق القرار بمؤسسة خاصة يحمل المنحرفين للتسلل إلى تلك المؤسسة، لأنهم وحدهم القادرون

على سلوك الطرق الملتوية من الغش، والرشوة، والكذب ، والتهريج، والتشنيع، والتخويف... وغير ذلك من ما يترفع عنه ذوو المبادئ وأهل الاستقامة والشرف .

فإذا تسللوا، سهل عليهم السيطرة على المؤسسة ، واستحصال قراراتها لصالحهم بطرقهم الملتوية التي أشرنا إليها، كما حدث في الشورى التي كان حصيلتها خلافة عثمان، ثمّ استيلاء بني أمية ـ الشجرة الملعونة[1] ـ على مقدرات الإسلام والمسلمين . وحينئذ يستطيعون حرف مسيرتها، والتخلي عن مبادئها ، ولم يخشوا إنكار المنكرين بعد أن كان القرار لهم وحدهم ، ولا شرعية لحديث غيرهم.

ومن هنا يسهل على الأعداء التسلل للمؤسسة بأنفسهم، أو بمن يتعاون معهم من المنحرفين، ومرضى القلوب، وضعاف النفوس، وذوي الأطماع ، ثم السيطرة عليها، وتسييرها لصالحهم. وبذلك يفقد التشيع المرجعية المخلصة التي سارت به أكثر من ألف عام في طريق الله تعالى، وقادته إلى موقعه الآن ، حيث صارت عبئاً على الظالمين، ومثيرة لقلقهم.

ويكفينا عبرة ودليلاً على ذلك أن ننظر إلى المؤسسات الدينية لمختلف الأديان، والمؤسسات الإنسانية، والحكومية،

(١) أُنظر بحار الأنوار: ٩ / ١١٩، ٢٨ / ٢٥٨، ٤٠/ ٨٦.

والدوليـــة لنجدها قـــد انحرفت عن أهدافهـــا النبيلة التي كان المفروض أنها قد أسســـت من أجلها ، بل تخلَّت عنها ، لتكون من مؤسسات الشرور والفســـاد، أو السائرة في ركاب ذوي الشرور والفساد، أو المنسقة معهم.

وأول مؤسســـة في الإسلام مؤسسة الشورى التي كان أعضاؤها من (الســـابقين الأولين) ، ثم مؤسسة التحكيم ، ثم بقية المؤسســـات الدينية المنتسبة لفرق الإسلام ، ومؤسسة الفاتيكان وغيرها من مؤسســـات الأديان الأخرى ، ومؤسسة عصبة الأمم المنحلة، وخليفتها مؤسســـة هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن وما يتبعهما من مؤسسات ، وكذا المؤسسات البرلمانية للدول كيف يتم التلاعب بها ، بل حتى مثل مؤسسة جائزة (نوبل) مَن المسيطر عليها وإلى صالح من تصير ؟! إلى غير ذلك مما لا يحصى .

ولا زلـــت أتذكـــر قضية طريفـــة وقعت فـــي الثمانينات الهجرية، بعد أن قامت المرجعية بدورها المشرِّف في مقاومة المدّ الشيوعي في العراق ، وما استتبع ذلك من تأجج عواطف المتدينين نحوها، وانشدادهم لها ، وقد نغصتهم سلبيات تعدد المرجعية، التي قد تعيق المرجعية العامة عن بعض مشاريعها، أو تجعلها تتعثر في طريقها.

وقد سافر بعض التجار المتدينين المتحمسين من ذوي الشـــهامة والخدمات الدينية – وممن أكن له شخصياً المودة والاحتـــرام حتى الآن ـ إلى الدول الأوربية، منتقلاً بينها ، ولما رجع من ســـفرته المذكورة جمعني معـــه مجلس كنت أرتاده كثيراً ، فرأيته معجبـــاً بالنظام البابوي فـــي الفاتيكان ، وقال متحسراً لوضع المرجعية الشيعية – وبحسن نية ـ ما مضمونه: يدخل الكرادلة مجمعـــاً لهم لا يخرجون منه إلا بتعيين البابا ، ثم لا خلاف ولا نزاع.

وقـــد منعني الجو الانفعالي والتأجج العاطفي من التعليق على حديثه ، فسكت على مضض.

ولم تمر مدة طويلة ـ سنتان أو أكثر أو أقل ـ وإذا بالبابا يصدر قراره الشـــهير الراجع إلى تبرئة اليهود من دم المسيح وحذف كل ما يســـيء إلى اليهود مـــن (الكتاب المقدس)، ومن التعاليم الدينية ، وقامت في وقته ضجة حول القرار المذكور، وكثر الحديـــث عنه، وعـــن دوافعه ، وجمعنـــي بذلك التاجر المؤمـــن نفس المجلس ، ولعله بحضـــور أكثر الجماعة الذين ســـمعوا الحديث الأول ، وإذا به منفعل من الموقف المذكور، يوجِّه تهماً قاسية في الدوافع وراء قرار البابا .

وهنـــا رأيت المناســـب تذكيره بحديثه الســـابق ، فقلت

بتبسط معه ما مضمونه: يا حاج ليس لك الحق في ذلك ، فأنت هنا وفي هــذا المجلس بالذات وقبل مــدة قريبة، كنت معجباً بالنظام البابوي وقلت: كذا وكذا!.

ثــم قلتُ له: إن ذلــك النظام هو الــذي أوصل إلى هذه النتيجة ، وتم بيننا حديث ودِّي طويل حول ذلك.

ولا يخفــى على المؤمنين ـ ســددهم الله تعالى وأعانهم فــي محنتهــم ـ أن الخلاف أمــر طبيعي، وقد عــاش الأئمة المعصومون عليهم السلام مع شيعتهم متواصلين معهم مدة لا تقل عن ثلاثة قرون ، ورأوا الخلاف بين شــيعتهم عن حســن نية أو ســوء نية ، وشكوا من ذلك ، كما شــكى منه شيعتهم ، وهم على علــم بطول أمد الغيبة وتعقد الأُمور على الشــيعة فيها ، فلــو كان هناك نظام للمرجعية أصلح مــن المرجعية الفردية الحرة لما جهلوه ، ولو عرفوه لما بخلوا به على شــيعتهم في محنتهم ، وكل ما فعلوه (صلــوات الله عليهم) هو التأكيد على الإخلاص في العمل، والخوف من الله تعالى، والتحذير من حب الظهور والرئاسة واتباع الهوى، ونحو ذلك مما يرجع لتهذيب النفوس وإصلاحها.

وفي الحقيقــة أنه بعد غياب القيادة المعصومة وتعرض القيادة للخطــأ المتعمد أو غير المتعمــد ، فالمرجعية الفردية

الحرة حيث تبتني على إيكال تشخيص من هو أهل للمرجعية لعامـــة الناس من دون أن يفرض عليهم فرضاً، فهي تبتني في الوقت نفسه على أمرين مهمين:

الأول : رقابـــة عامة الناس على المرجع ، فمن لا يعجبهم واقعه وســـلوكه ينكرون عليه ـ ولو في أنفسهم ـ ويعرضون عنه ويتجهون إلى غيره.

الثاني : فســـح مجال التصدي لأهل الإخلاص والواقعية والاستقامة ممن يهتم بخدمة المبدأ. وحينئذ يبقى للحق ولأهله صوت ودعوة ، وتقوم بهما على الناس الحجة.

كما أنه يمنع من شدة الانحراف والبعد الكثير عن الحق ، لأن وجـــود حق ظاهر ناطق يفضـــح الباطل وينبه الغافل عنه، ويمنع أهل الباطل من الإغراق فيه. أما المنحرفون في سلوكهم فإنهـــم لو اســـتطاعوا أن يجمعوا حولهم النـــاس ويقنعوهم ـ بطرقهم الملتوية أو بكفاءاتهم الشخصية ـ مدة من الزمن ، إلا أن الحق بقوة حجته وبواقعية حَمَلته يعرّي الانحراف والزيف ، فيتراجع إليه من يستيقظ ضميره وتقوم الحجة به على غيره .

وهكذا يبقى الحق ظاهراً مستمراً في دعوته ، إليه يرجع الغالي وبه يلحق التالي ، وعنه يهلك المبطل.

أما المرجعية المؤسساتية فهي تسد الطريق على الغير ، فلا يعترف بـــه، وإن كان محقاً في دعوته، مخلصاً في عمله ، مستقيماً في سلوكه ، فإذا انحرفت خفي على الناس انحرافها ، لعدم وجود حق ظاهر ، ليقارن بها ويفضحها.

ولو ظهر انحرافها لبعض أهل المعرفة والتمييز لم يجدوا حقاً يلجؤون إليه ويستضيؤن بنوره ، ولا يسمع منهم الإنكار ، لأنه خروج على الشرعية المفروضة.

وبمـــدة قليلة تضيع معالم الحق ويعفـــى أثره وتندرس معالمه، ويفرض الباطل نفسه على أرض الواقع ويتحرك كيف يشاء مستغلاً شرعيته المفروضة ، وليس لله تعالى في مقابله دعوة ظاهرة ولا حجة ناطقة.

وربما يشير إلى هذا المرجع الديني الشهير آية الله السيد أبو الحســـن الأصفهانى قدس سره في كلمته المشـــهورة: «النظام في اللانظـــام» يقول المتحدث عنه: «ولا بـــأس أن أذكر له رأياً قد أشتهر عنه، قد يؤخذ عليه مثل هذا الرأي، وهو قوله قدس سره: «النظام فـــي اللانظام» فقد حظوت بخدمته يوماً، مع أن مجلســـه كان أقرب إلى التواضع، ولكن مكانته العامة تجســـمت أمام عيني فهبته، ولكنني استجمعت قواي، وسألته كالمستنكر عن معنى هذه الجملة، فافتر ثغره عن ابتسامة خفيفة، وقال: هل يمكن أن

أدعي التناقض، ثم أردف قوله بأنني أقصد أن نجاحنا (أي الهيئة الدينية) في مثل هذا اليوم هو في اللا نظام. ثم شرح قوله بمثال، وهو أن البلدة إذا كانت أبنيتها متصلة مصطفة، فإذا أحرقت دار سرت النار إلى بقية الدور، وإن كانت الدور متبعثرة ها هنا وها هنا فإن أحرقت دار سلمت البقية. ولم أشرح ما فهمته من كلامه كما لم يشرحه. والمثال وحده كاف لشرح النظرية»[1].

ولعل هذا هو السر في قِصَر الفترة بين نبي الله عيسى عليه السلام وبعثة نبينا صلى الله عليه وآله، وفي طول أمد الغيبة ، فإن معالم الدين الحق بعد عيسى عليه السلام ضاعت بسبب تشكيلة المرجعية الدينية المسيحية ، حيث انحصرت بمؤسسات لا يعترف بغيرها ، وبانحرافها عقيدياً وعملياً انحرفت المسيحية كلها ، ولم يبق لله تعالى ناطق بالحق تقوم به الحجة على الناس ، كما يشهد بذلك ما ورد في حديث إسلام سلمان الفارسي(رضي الله عنه) [2] ، فكان مقتضى حكمة الله تعالى ولطفه أن يجدد الحجة على الناس ببعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

أما في عصر الغيبة فالحجة باقية ببقاء دعوة التشيع

---

(١) مجلة الدليل . السنة الأولى. العدد: ٣،٤ صفر سنة ١٣٦٦هـ، كانون الثاني سنة ١٩٤٧م في عدد خاص بمناسبة وفاته قدس سره.

(٢) أُنظر بحار الأنوار: ٢٢ / ٣٥٥.

المتكاملة المتناسقة ، وببقاء المرجعية الفردية الحرة الحاملة لها والناطقة بها والداعية إليها ، والمسددة بعناية الله تعالى ورعاية إمام العصر أرواحنا فداه ، والتي تستطيع بحقها وواقعيتها فضح الباطل والمبطلين، والانحراف والمنحرفين، والإنكار عليهم ، وبيان زيغهم وباطلهم ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] ، ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[2].

وحسب تقديرنا فإن الدعوة للمرجعية المؤسساتية دعوة غير عملية بعد فقدها للدليل الشرعي القاطع ، ولا أثر لها إلا إتعاب المرجعية الفردية الحرة التي تمتلك وحدها الشرعية ، واستغلال بعض السلبيات فيها، وتضخيمها من أجل إغفال الناس عن واجبهم الشرعي، وإشغالهم بنظرية قد تمتلك من جمال الطرح ما يغفلهم عن التبصر فيها، والتعرف على مخاطرها ، مستغلين حسن نية الكثير منهم، وتأجج عواطفهم ورغبتهم في الإصلاح.

وكان الأولى بمن يدعو للمرجعية المؤسساتية الآن ـ من ذوي النية الحسنة ـ تجنباً لسلبيات المرجعية الفردية الحرة أن يدعو بَدَلَ ذلك للواقعية والإخلاص، وقوة التدين

---

(١) الأنعام: ١٤٩.

(٢) التوبة: ١١٥.

فـــي المرجع وفي الهيئـــة العاملة معه ، مـــع الاهتمام بمراعاة الموازين الشرعية في الدعوة لتقليد المرجع ، وفي الاستجابة لتلك الدعوة من قِبَل المؤمنين..

أولاً : لأهميـــة ذلك في أداء الوظيفة الشـــرعية والخروج عن المســـؤولية أمام الله تعالى ، على ما بسطنا الكلام فيه في مقدمة رســـالتنا العملية ، وفي رســـالتنا التي وجهناها لطلاب العلم والمبلغين بما يغني التعرّض له هنا.

وثانياً : لأن ذلك من أهم أسباب الفيض الإلهي في توفيق المرجعية وتســـديدها ، لأن الله تعالى مع عبده المؤمن ما دام العبد معه ، وكما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وثالثاً : لأن للواقعية والإخـــلاص أكبر الأثر في تخفيف سلبيات تعدد المرجعية.

وهنـــاك نكات مضيئة فـــي تاريخ المرجعيات الســـابقة والمعاصرة نتيجة الإخلاص والواقعية تكفي عبرة في ذلك .

فقد كان الانســـجام بين المرجعيات على أشده في أوائل القرن الثالث عشـــر الهجري في عصر مرجعية الشيخ كاشف

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

الغطاء قدس سره وإخوانه .

واشـــتهر عن الشـــيخ المرحوم صاحب الجواهر قدس سره أنه أرشـــد لتقليد الشيخ الأنصاري قدس سره من بعده، لثقته بكفاءته، مع أنه لم يكن من جماعته، ولا من أتباع مدرسته .

وقد أبدى الســـيد الشـــيرازي الكبير قدس سره اهتمامه الشديد بالمرجع المعاصر له الشيخ محمد حسن آل ياسين قدس سره ، حتى قيل إنه لما ذهب جماعة من تجار بغداد إلى ســـامراء يحملون له حقوقهم الشـــرعية أنكر عليهم، وقال: إذا كانت حقوق أهل بغداد تنقل إلينا يموت الشـــيخ محمد حســـن آل ياســـين قدس سره ومـــن معه جوعاً! ويقول المرحوم الحجة الشـــيخ محمد حرز الدين قدس سره حينما يذكر وصول نبأ وفاة الشـــيخ محمد حسن آل ياســـين إلى ســـامراء وهو فيها: «وبلغني موثوقاً أن الميرزا الســـيد محمد حســـين الشـــيرازي بكى لفقده. وأقام الفاتحة لروحه فى ســـر من رآى، وحضرناها»[1]. ولما تعرض السيد الشـــيرازي المذكور للاعتداء في ســـامراء بقتل ولده في فتنة طائفيـــة عمياء[2] شـــدَّ المراجع والعلماء في النجف الأشـــرف (قدس سرهم)الرحال إلى سامراء دعماً له وتضامناً معه.

---

(١) معارف الرجال: ٢ / ٢٣٣.

(٢) يأتي التعرض لها في القسم الثاني من هذا الحوار في جواب السؤال الحادي عشر.

وقد عاصرنا مرجعيتي سيدنا الأستاذ الجد السيد الحكيم وشيخنا المعظم الشيخ محمد رضا آل ياسين (قدس سرهم) ، فكان التعاون والتنسيق والاهتمام المشترك بينهما مثالياً رائعاً.

ولا زلنا نلمس إلى اليوم تأثير الإخلاص والواقعية في انسجام المرجعيات والتعاون بينها لتجنب السلبيات والمفارقات . ولا يسعنا إحصاء ذلك فقد طال بنا الحديث.

نعم نودّ أن نشير في ختام هذا الحديث إلى أهمية اعتماد المرجع الديني على ذوي الاختصاص والتقوى والاستعانة بهم واستشارتهم، وتقسيم الأعمال على اللجان المختصة ؛ لأن المسؤولية أكبر وأعقد من أن يستقل بها شخص واحد ، خصوصاً في العصر الحديث مع ما فيه من تعقيدات. وكذلك دعمه ورعايته للعاملين المستقيمين في المؤسسات والمراكز والمشاريع الإسلامية المتنوعة.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد المخلصين في دعوتهم وعملهم وينفع بهم ، إنه ولي المؤمنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

س ١٢ ـ عرف عنكم اهتمامكم بإلقاء

محاضـرات أخلاقيـة وتربويـة فـي شـهر رمضان المبـارك وغيره من المواسـم، فهل تـرون ذلـك ضـرورة دائمـة خاصة فـي هذا العصر؟

ج : هذا أمـــر ضروري في كل عصر ، وفي حق كل أحد مهما بلغ شـــأنه ، ففي الحديث الشريف: «قال رسول الله ﷺ: تذكروا وتلاقوا وتحدثوا فإن الحديث جلاء القلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث»[1].

ويتضح ذلك بملاحظة القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ وأهـــل البيـــت عليهم السلام وما روي عـــن الأنبياء والأوليـــاء ، وعليه جرت سيرة السلف ، حتى كانت تعقد مجالس للوعظ ، ومنها مجلـــس في الصحن الشـــريف يتحدث فيه المرحوم الشـــيخ جعفر الشوشـــتري قدس سره يحضره النـــاس بطبقاتهـــم بما فيهم بعض المراجع المشهورين في النجف الأشرف، عدا المجالس الخاصة ، والدروس الأخلاقية التي يقوم بها أساتذة ماهرون.

وحبـــذا لو يراعى ذلك، ويهتم به فـــي هذا العصر، الذي طغت فيه المـــادة، وقويت فيه حبائل الشـــيطان، وظهرت فيه نغمة التسامح والتحلل.

---

(١) الكافي: ١ / ٤١.

وإذا لم يتسن عقد مجالس خاصة للوعظ والإرشاد والتربية الأخلاقية ، فلا أقل من اهتمام الخطباء بذلك في مجالس الحسين عليه السلام والمناسبات الدينية ونحوها ، وتخصيص فترة منها لهذا الجانب على ضوء الكتاب المجيد وأحاديث النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، وما روي من تعاليمهم وسيرتهم، وسيرة الصفوة من أوليائهم، بعيداً عن الإغراق والاجتهادات التي لا تستند إلى ركن وثيق.

وإذا لم يتيسر لأحد شيء من ذلك، فعليه أن يهتم بالتدبر في القرآن الكريم وبالاطلاع على خطب النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وأدعيتهم التربوية، وسيرتهم وأحاديثهم التي بها جلاء القلوب وصلاح النفوس ، فإن كلامهم نور، وأمرهم رشد ، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير، وعادتهم الإحسان، وسجيتهم الكرم.

والحمد لله الذي وفقنا للتمسك بهم ، والاعتصام بحبل الله تعالى وحبلهم، ونسأله الثبات على ذلك والمضي عليه.

١٣ ـ يتسائل البعض لماذا يعتمد المرجع الديني على أبنائه والقريبين منه أكثر من اعتماده على غيرهم؟

ج: هذه حالة غير مطردة ، بل يختلف المراجع في ذلك

نتيجة لاختــلاف أوضاعهم وظروفهم ، فبعــض المراجع لم يعرف عنهم ذلك، ولو لفقدهم الأقرباء والتلاميذ الذين يتيسر الاعتماد عليهم ، وبعضهــم عرف منهم الاعتماد على أقاربهم نسبياً ، وآخرون اعتمدوا على تلامذتهم.

والمهم فــي المقام هــو الأمانة والإخــلاص والاهتمام بشؤون المرجع وحسن الإدارة ، فإن فقدها الأقارب والتلاميذ لم ينبغ الاعتماد عليهم ، ولذا كان من أهم المطاعن على عثمان الاعتماد على أقاربه وإيكال أمور المسلمين لهم.

وإن كانوا أهلاً للأمانة فما المانع من الاعتماد عليهم، ولو في بعض الاُمور كل بحسب قدرته؟

وقــد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه عوتب على اعتماده على بعض أرحامه وتوليتهم فقال: آتوني خيراً منهم لأُولِّيه![1]

بل إذا عرف المرجع الأمانة في تلامذته أو القريبين منه، ووجدهم أهلاً لتحمل المســؤولية فما المحــذور في اعتماده عليهم ولا سيما بعد تلكؤ الآخرين من التضحية بأوقاتهم قبل بروز المرجع على الصعيد العام، باعتبار أن تلامذته والمقربين منه قد عاشــوا معه وجرَّبهم، وعــرف عنهم ما لم يعرف عن

---

(١) اُنظر شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٩٩.

غيرهم ، وهم باتجاهاته وآرائه ومفاهيمه التي يحملها ـ والتي على أساسها تحمّل مسـؤولية التصدي للمرجعية ـ أعرف ، وبالانفعال بهـا والجري عليها والتضحية مـن أجلها أحرى وأقـرب، على أن لا يكون الاعتماد بدافع العاطفة فيقدمهم على من يستعد لتحمل المسؤولية ممن هو أوثق منهم وأجدر.

وقد جمعني في سـفرتي لإيران في حياة سيدنا الأستاذ الجد السـيد الحكيم قدس سره مجلس مع بعض الأشخاص ، فاقترح علـيَّ أن يجنّب السـيد أولاده المسـاهمة في إدارة شـؤون مرجعيته ، اقتناعاً منه بموقف نسبه لبعض المراجع .

فقلت له: أترى أن السـيد إذا كان قد ربى أولاده وغرس فيهم الإخـلاص والأمانة وعرف أهليتهم فمـا المبرر لتركهم والاعتماد على غيرهم مِن مَن هو أبعد عنه وأقل معرفة به؟!

وما زلت أتذكر تلك الليلة الليلاء من ليالي مرض السـيد الجد قدس سره الـذي قضى عليه ، فقد بُلِّغنا عبـر الهاتف في النجف الأشـرف – في أوائل شهر صفر قبل وفاته بشهرين تقريباً ـ أن سـماحته قد تردَّت صحته في المستشفى ، حيث عرضت لـه نوبة قلبية حادَّة ، وكان بسـببها معرضـاً لقرب الرحيل المحتوم ، وهـرع إلى بغداد أكثر القريبين ولم يبق في النجف إلا المرحوم ولده الأكبر الخال آية الله السيد يوسف قدس سره وبعض

شـــيوخ العائلة، وبقيـــت معهم ، ورجعنا بعد صـــلاة المغرب للمجلس العام في دار السيد الجدقدس سره ، ونحن في أشد الوجوم والقلق ، لأنا نتوقع الخبر الصاعق في كل لحظة .

وبعـــد أن انتهى المجلـــس، وخرج النـــاس، خرجت مع المرحوم الخال مصاحباً له في طريقه إلى بيته ، وفي الطريق جـــرى الحديث بيننا ، وإذا به في مشـــكلة أهم مما يتوقعه من فقد السيد، حيث قال ـ ما مضمونه ـ : الموت أمر لابد منه ، إلا أن مشكلتي أن السيد قد أوصى إليَّ بما يتركه من أموال عامَّة لأُشـــرف على صرفها ، ويصعب عليّ تحمـــل الأمانة، لبعض الملاحظات.

وحاولـــت التخفيف عنه فلم أُفلح ، حتـــى إذا وصلنا إلى بيتـــه طلب إليَّ أن أدخل معه لإكمـــال الحديث فدخلت ، وطال الحديـــث بيننا حتى قلت له: هذه الأموال لابد أن تصرف ، وأنا أتعهد بأنك ستحصل إجازة بتولي صرفها من كل من يحتمل توقف صرفها شـــرعاً على إجازته مـــن المراجع والمجتهدين الذين كانوا كثيرين فـــي النجف ، وأصرَّ على الامتناع ، وطلب إليَّ بإلحاح أن أُســـافر في اليوم الثاني إلى بغداد لأبلِّغ الســـيد بامتناعه من قبول الوصية بهذا الوجه .

وكان الطلـــب محرجاً لي ، حيث يصعـــب عليَّ مواجهة

السيد الجدﷺ بذلك، وهو في ذلك الوضع الصحي المتردي ، مع محاذير أُخرى كنت أخشى منها.

لكني استسلمت على مضض مراعاةً لوضعه المأساوي واستجابة لإصراره ، غير أن الله تعالى كفاني ذلك ، حيث تيسَّر له إبلاغ غيري بالطلب المذكور ممن هو في بغداد ، وفعلاً بُلِّغ المرحوم السيد الجد بذلك، لكنه ﷺأصرَّ على إلزامه به ، لما يعرفه من أهليته وتورعه ، فاستسلم له ، وقام بذلك بعد أن احتاط بما أمكنه من وجوه الاحتياط.

وقد ذكرت هذه القصة للتاريخ والعبرة ، فإنه إذا كانت الأمانة في الابن هكذا فما المبرر لترك الاعتماد عليه!!

بل مثل ذلك مما يؤكد مبدئية المرجع وقوة تأثيره على أتباعه في غرس الأمانة والمبدئية فيهم ، ويؤكد ثقة الناس به وبهم ، ويزيد المرجعية بهاءً وقدسية ويرفعها في نفوس الناس ، كما رأينا أثر ذلك في اندفاع الناس نحو المرحوم الخال السيد يوسف ﷺ وتعلقهم به مصرين على تقليده ، وعلى إقناعه بقبول ذلك ، إلا أنه أصرَّ على الامتناع تورعاً ومحاولة منه للتخلص من تحمل الأمانة ما وجدَ إلى ذلك سبيلاً. وإن كان هو أهلاً لذلك بنظر كثير من أعلام النجف الأشرف في حينه ، وعلى رأسهم المرحوم السيد الجدﷺ ، كما يناسب

ذلك تعامله معه ، وما بلغنا بطريق موثق من إرشاده له.

لكن السيد يوسف قدس سره عقّب على ذلك بأن السيد قدس سره هو الذي زهّدني في المرجعية تجنباً لمشاكلها ، فقد دخلت عليه يوماً فرأيته منفعلاً من بعض المشاكل وقال لي: إياك أن تورط نفسك بهذا الأمر.

بل كان قدس سره يضيق حتى من قيامه ببعض النشاطات التي قد تناسب الظهور والوجاهة، كصلاة الجماعة. وبلغنا عنه في حديث مع بعض الخاصة في حياة السيد الجد قدس سره في أواسط عهد مرجعيته أنه قال: إنما أقوم بذلك فعلاً تنفيذاً لرغبة السيد ومراعاة لحقه، وما أدري كيف يكون موقفي بعده ولعلي أترك ذلك، لعدم الملزم به. غير أنه أخيراً استمر على ذلك بالمقدار الذي كان يستوضح رجحانه. ونسأل الله جلّ شأنه أن يحسن جزاءه.

كما نسأله سبحانه أن يسدد الكل في عملهم ويجزيهم بنيتهم إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين.

س١٤ ـ تطرح إشكالية على عمل الجهاز المرجعي بأنه خاضع لمستشارية المرجع أكثر من خضوعه لشخص المرجع ، فما هو نظركم؟

ج: هذا على عمومه ظلم وتجاوز للحقيقة ، إذ ليس هناك

قاعــدة عامة في ذلك ، بل هو أمــر يختلف باختلاف المراجع في قوة الشــخصية وفي الحزم ، وفي ســهولة اتخاذ القرار ، وفي الثبات على القرار ، كما هو الحال في سائر المسؤولين ، وليس هو مختصاً بمراجع الدين.

نعم لا إشكال في أن للهيئة العاملة مع المرجع في الجملة الأثــر في القرار، وتســيير عمل الجهــاز المرجعي ، ولو لأنه يســتعان برأيهم كمستشــارين ، الذي هو من الإيجابيات في المرجع ، أما السيطرة على القرار وعلى تسيير الأعمال فهي ـ كما قلنا ـ تابعة لشخصية المرجع.

وقــد رأينا من بعض المراجع(قدس ســرهم) من الحزم والســيطرة على جهازه، والواقعية وحسن التصرف ما يلفت النظر ويثير الإعجاب والإكبار.

هذا وفيما يخص هذا الســؤال والسؤال السابق فنحن لا ننكر السلبيات غير المتعمدة ، بل والمتعمدة في بعض الحالات ، إلا أن الأمــل بالمؤمنين ســددهم الله تعالى النظــرة الواقعية للأُمور والحذر من الحملة الشــعواء على الحوزة والمرجعية، وتضخيم السلبيات وافتعالها .

فقد اطلعنا على بعــض الافتراءات على أعاظم مراجعنا ـ الذين تجلهم الحوزة العلمية ـ لا يقوم بها من له أدنى مســكة

مــن الكرامة ، فضلاً عن الدين ، وليــس المراد بها إلا زعزعة الثقة بخط المرجعية العام، الذي هو فخر هذه الطائفة ووسام الشرف في جبينها ، وطريقها الموصل لها إلى الله تعالى ، وبه تكامل شخصيتها وفاعليتها .

فبعين الله تعالــى ما لقيه ويلقاه علماؤنــا الأبرار نتيجة ثباتهم علــى مبادئهم، وصلابتهم في مواقفهم، واســتقامتهم في مســيرتهم ، ورفضهم التعاون والتنســيق مع قوى الشر والطغيان والسير في فلكها.

ونسأله ســبحانه أن يثبتهم على ذلك ويسدد خطاهم ، ويشكر سعيهم ويعظم أجرهم ويعز نصرهم. إنه ولي المؤمنين وناصر المظلومين. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وليت شعري إذا تزعزعت الثقة بهذا الخط فما هو البديل الخالي عن الســلبيات والمفارقات ؟! وأيــن يتجه المؤمنون؟! وكيف يصلــون إلى ربهــم ويحفظون دينهم عــن التحريف والتلاعب؟!

وإذا لم تكن المرجعية ـ التي نشترط فيها العدالة بمرتبة عالية ـ أهلاً للثقة فماذا نفعل؟ هل نبقى بلا مرجعية؟!

أو نتعامــل مع مرجعيــة غير أمينة ، كمــا تعامل غيرنا

ووصلوا إلى ما وصلوا وانتهوا إلى حيث انتهوا !!

والأجـــدر بالمؤمنيـــن ـ أعانهم الله تعالى فـــي محنتهم وسددهم في مسيرتهم ـ أن ينظروا لأنفسهم ولدينهم، وتكون دعوتهـــم إصلاحيـــة هادفة بدعـــم المرجعيـــة وتأييدها ، بل تعظيمها وتقديسها .

لكن مع التأكيـــد على الواقعية، والإخـــلاص، والتقوى ، وحسن السلوك في شخص المرجع، وفي أعوانه، وفي الداعين له المرشـــدين لأهليته ، وتشـــجيع من يتحلَّى بذلك وتبجيله، وعضده، والتعاون معه، والانضمام إلى خطه ، والتحفظ ممن لـــم يعرف فيه ذلك ، بل الإنكار الهـــادئ على من يخرج عنه ، والمباينة له، ليعرف كساد بضاعته ، ولا يتعرض لهذه الأمانة إلا مـــن هو أهل لها قادر على حملهـــا ، مع كمال التحفظ منهم والحـــذر من التهريج والدعايات الكاذبة، ومن تدخل الأغراض الشخصية والمصالح الفردية، والعواطف والمجاملات .

فإن الأمانة عظيمة، والمســـؤولية كبيرة، والرقيب هو الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقد ذكرنا في جواب (السؤال الحادي عشر) أن المرجعية تبتني على رقابة الناس على المرجع ، فعليهم أن يؤدوا واجبهم من موقعهم، ولا يتساهلوا في ذلك، ويقفوا منه موقف المتفرج

اللامبالي.

ولتكــن المحنة التي نمرّ بها محفــزة على أداء الواجب ، ورعاية الأمانة، والقيام بالمســؤولية إزاء هذا المبدأ الشريف، وأزاء خط المرجعية المقدس، الذي هو من أهم سماته المضيئة ومميزاته المشرقة.

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

س١٥ ـ الإمـام المهـدي عليه السلام غائـب عـن وجدان كثير من شـيعة أهل البيت عليهم السلام رغم عقيدتهـم بـه ، فمـا هي السـبل التـي ترونها كفيلة بشعورهم بحضوره عليه السلام ؟

ج : كل أمر حق غيبي يحتاج حضوره وجدانياً إلى تركيزه في النفس بالتفكر والتذكر المستمر، وعدم إغفاله ، وبذلك تتم فاعليته وتأثيره في سلوك من يعتقد به.

ولذلــك ورد الحث الكثير علــى التفكر ، كما أطلنا الكلام فيه في رسالتنا الموجهة لرجال الحوزة والمبلغين.

وإن مــن جملة الأُمــور الغيبيــة الحقة وجــود الإمام المهدي عجل الله فرجه وأثره في سير نظام الكون ، ولا سيما أمر شيعته، ورعاية شــؤونهم، وتسديد مســيرتهم ، كما يناسبه ما ورد

مــن أن الانتفاع به في غيبتــه، كالانتفاع بالشــمس إذا جللها السحاب[1]، وأن الأرض لا تبقى بغير إمام ، وأنه لو رفع الإمام عنها لساخت[2].

فعلى المؤمنيــن وفقهم الله تعالى الاهتمام بحضور ذلك في وجدانهم، وتركيزه في نفوسهم ، بالتفكر والتذكر والارتباط المســتمر به، من خلال الأدعية والزيارات الكثيرة الواردة له عنه ﷺ وعــن آبائه (صلوات الله عليهم) ومن خلال التأســي به في محنهــم وكرباتهم ، لأنه أطول الناس محنة وأشــدهم كربة ، واللجوء إليه في مهماتهم، والاستجارة به في كرباتهم ، والاستشــفاع به إلــى الله تعالى في دعواتهــم ، لأن الله تعالى يجري الأمور على يديه، وهو أفضل شافع في هذا العصر إليه.

كما أن عليهم أن يرتبطوا به، ويتذكروا موقعه من خلال الرجوع لعلمائهم الذيــن هم يمثلون وجهته، ويقومون ببعض وظائفــه ، لأنهم ـ كما ورد في توقيعه الشــريف ـ حجته على شيعته ، وهو حجة الله تعالى[3].

بل حتى من خلال التوجه والنظر للفســاد المنتشــر في

(١) أُنظر بحار الأنوار: ٣٢ / ٢٥٠.
(٢) الكافي: ١ / ١٧٨ ـ ١٨٠.
(٣) أُنظر وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠١.

العالــم من الظلم والطغيان والانحلال وغير ذلك ، حيث ينبغي أن يكون سبباً لتذكره، والأسف لغيبته، وانتظار ظهوره، وتوقع فرجه الذي به يتم تطهير الأرض من جميع ذلك ، لأنه (صلوات الله عليه) يملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد ورد عنهم عليهم السلام ردع الشــيعة عن قبيح الأعمال ، لأن ذلك يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وعلى إمام العصر عليه السلام فيؤذيهما[1].

ولــو تجلت هذه القضية لهم بالتفكــر والتدبر لأصلحت كثيراً من سيرتهم ، حيث لا ريب في أنهم يحبونهما ويهابونهما، ولا يرتضون لأنفسهم إيذاءهما.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على ولايته وانتظار أمــره ، ويهب لنا لطفه عليه السلام وعطفه، ورأفته، ورحمته، وتحننه ، ودعاءه،وتفقده،وشفاعته ،ولايحرمنابركةذلكفيدينناودنيانا.

س ١٦ ـ سيدنا الكريم في مثل هذه الظروف الصعبة التـي تمر بها أمتنا الاسـلامية توجد هناك أزمة ثقة في بعض مجتمعاتنا (الإمامية) بيـن المجتمـع ورجـال الديـن مـن علمـاء

(١) أُنظر الكافي: ١ / ٢١٩.

ومبلغين، ساعد على وجودها ظروف كثيرة لا تخفى على المتابع ، فياحبذا لو تفضلتم علينا ببعض النصائح والتوجيهات التي تساعد على التخفيف من تلك الأزمة؟

ج : الأزمة المذكورة من أهم مشاكل هذه الطائفة الممتحنة وأعقدها. وهي بعد مؤشر خير لهذه الطائفة، يناسب صمودها وخلودها، لأنها تكشف عن تحرر المجتمع فيها من التقليد الأعمى لرجال الدين والتبليغ، مما يجعل رجل الدين غير قادر على حرف المجتمع عن مسار هذه الطائفة المستقيم، ونهجها القويم لو سولت له نفسه، وغلبه هواه ؛ أو لضغوط خارجية تدعو للانحراف، كما حصل لكثير من الطوائف والمجتمعات.

كما أن رجل الدين والتبليغ إذا كان مستهدفاً للنقد والتمحيص صار حذراً متيقضاً، وحاول تجنب المزالق والبعد عن مواقع التهم وتحفز للتكامل والرقي.

وعلى كل حال يجب على جميع الأطراف الوقوف عند حدود الله تعالى، والحذر من الخروج عنها في سورة التحرر والاندفاع، وتحري رضا الله تعالى، وصدق النيَّة معه.

فيجب على رجل الدين والتبليغ الاهتمام بأداء وظيفته على أحسن الوجوه وأفضلها، وتجنب السلبيات بالقدر

المستطاع والاســتماع للنقد البناء والتجاوب معه. من دون أن يصل الأمر به إلى إرضاء الناس على حساب المبدأ والواجب مهما كان الثمن.

كما يجب على أفراد المجتمع التشــجيع على الاستقامة ، وأداء الواجــب، ورفض الزيغ والانحراف مهما كان مصدره ، والحذر من النقد الهادم غير المسؤول ولا المنصف.

نعم، هناك أمر مهم له أعظم الأثر في هذه الأزمة يحسن التعرض له هنــا، وهو أمر المال الــذي يتعرض رجال الدين والتبليــغ لتحصيله، والذي لم يُحسِــن البعض منهم التصرف فيه، حيث ينتظر منهم انفاقــه في ترويج الدين، ورفع أعلامه، والدعوة له، أو في إغاثة ذوي الحاجة المضطرين من المؤمنين .

بينما لم يلمس الناس منهم ذلك، بل بدا منهم كسبه لأنفسهم يتنعمون به، ويتوســعون في انفاقه، حيث قد يتعدى بعضهم فيه لمصارف الترف والبطر حسب منظور الناس، حيث أوجب ذلك انعكاس صورة ســيئة لرجل الدين والتبليغ عند كثير من النــاس ، وضاع الصالح في هذا الخضــم . حتى اعتقدوا أنهم لم يدخلوا في هذا المجال من أجل القيام بالوظيفة الشــرعية ، وأداء الواجــب في الدعوة إلى الله تعالى ، بل من أجل تحصيل المال والكسب غير المشروع، وسلبت الثقة منهم، وشاع سوء

الظن فيهم، حتى قد يتفاقم الأمر، ونصل إلى ما لا تحمد عقباه.

فالواجب على رجال الدين والمبلغين الصحيحين المخلصين في عملهم، والذين بهم ترتيب الثمرة المطلوبة على جهودهم..

أولاً: أن يبعدوا عن مواقع التهمة، ويتعففوا عن الناس، فلا يطلبوا المال، ولا يتعرضوا لتحصيله، وإن عرض عليهم المال تنزهوا عن قبوله إن كان من سنخ الهدايا والمساعدات الشخصية إباءً وترفعاً.

وإن كان من سنخ الحقوق الشرعية لم يقبلوه لأنفسهم، بل للمرجع الذي يقتنع به دافع المال، أو يقتنعوا به أنفسهم ـ فيما بينهم وبين الله تعالى ـ إن أوكل دافع المال الأمر إليهم، ويؤكدون ذلك بتحصيل الوصل من المرجع المذكور، وتسليمه لدافع المال، ليتضح له وصول المال للمرجع، ثم ينسقوا مع المرجع من أجل إنفاق المال في مصارفه المرضية لله تعالى، بما في ذلك سد الحاجة الشخصية لرجل الدين والتبليغ، الذي هو الواسطة بين المرجع والناس، من أجل أن يستغني عن الناس، ويترفَّع عن الطلب إليهم، ويتعفف عما في أيديهم.

وقد كان سيدنا الجد مرجع الطائفة السيد الحكيم قدس سره يؤكد على ذلك مع خاصَّة وكلائه وممثليه، وأوثق الناس عنده،

ليبعدهم عن مواقع التهمة ، وكان لذلك أفضل النتائج في عهده .

ثانياً : أن لا يتوسعوا في كسب المال وإنفاقه لأنفسهم ، ويبعدوا عن مظاهر الجمع والادخار ، والبذخ والترف ، حتى لو كان المال من مكاسبهم الشخصية ، فضلاً عما إذا كان من الحقوق الشرعية .

ويحاولوا إنفاق ما زاد عن حاجتهم منه في المصارف الراجحة ، كالخدمات الدينية بوجوهها المختلفة ، وإغاثة المضطرين من المؤمنين، وسد عوزهم، وتفريج كربتهم ، وإغاثة لهفتهم.

ففي ذلك قبل كل شيء رضا الله تعالى الذي هو من أهم أسباب التوفيق والبركة في العمل، والتسديد في المسعى، ثم هو سبب لتأكيد ثقة الناس برجل الدين والتبليغ، حتى يطمئنوا إليه، ويستمعوا له، فيسترشدوا بإرشاداته، ويقبلوا قوله، ويتعاونوا معه لخدمة هذا المبدأ الشريف المتعَب، الذي قام بحقيقته وواقعيته مع الحجة الواضحة، والبراهين الساطعة، وبجهود المعنيين من معتنقيه، وجهادهم، وتضحياتهم، وبثباتهم، وصبرهم على مر العصور، وتعاقب الدهور، في شدة المحن وتواتر الفتن.

ونسأله سبحانه أن يجعلنا من العاملين في سبيله ،

المرضيين له، المقبولين عنده، إنه الرؤوف الرحيم بهم.

وقد طـــال بنا المقام إلى ما لم نكن نحتســـب في جواب سؤالكم، أملاً في أن نؤدي بعض الواجب في النصح والتذكير لرجال الدين والمبلغيـــن في أداء واجبهم ﴿**فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

س ١٧ ـ بعـض الناس يتصرف في الحقوق الشـرعية بنفسـه مـن دون مراجعـة الحاكم الشـرعي ، محتجـاً بأنه يصرفـه فيما يرضي اللـه عزّوجـلّ والإمـام المهـدي عليه السلام فما هو رأيكم في ذلك ؟

ج : من حقه أن يفعل ذلك إذا كان من يقلده ـ طبق الموازين الشرعية ـ يفتي بعدم وجوب مراجعة الحاكم الشرعي. أما في غيـــر ذلك فهو خروج عما أمر بـــه الله تعالى من الرجوع لأهل العلم ، وللإمام صاحب الحق عليه السلام الذي ورد عنه أنه قال: «وأما الحـــوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[1].

والإنســـان المؤمن إنما يدفع الحق من أجل أن تبرأ ذمته

(١) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٠١.

منـــه ، ولا يطالب به بين يدي الله تعالى ، ويأمن عقابه ، وكيف يحصل على ذلك وهو يخرج به عن ميزانه الشرعي بمقتضى تقليده الذي فرضه حجة على نفســـه يحاسب على ضوئه يوم يقف بين يدي الله تعالى ؟! ، ولماذا هذا التسامح في أداء فرائض الله تعالى والخروج عن حدوده؟.

على أن في ذلك تشـــتيتاً للكيان الشـــيعي ولإمكانياته ، وتســـيباً في صرف الحق ، حيث يتعـــرض للرغبات الفردية ، والقناعات الشـــخصية التي يسهل ســـيطرة المتملقين عليها ، وتتحكم فيها العواطف والمجاملات ، حتى ينحرف به تدريجاً عن وجهه ويبعد عنه.

نعـــم، إذا كان صاحب الحق ذا خبـــرة بمصارف الحق وقدرة علـــى صرفه فيهـــا، أو له وجهة نظر فـــي ذلك أمكنه التنسيق مع الحاكم الشرعي وتبادل وجهات النظر ، لأن كلمته مســـموعة عنده ، ولا سيما بناءً على فتوانا من أن الولاية على الحق مشتركة بينهما.

وبذلك تتركـــز المرجعيـــة الدينية ، ويتماســـك الكيان الشـــيعي ، وتنحل كثير من الإشـــكالات ، ونتجنـــب كثيراً من السلبيات والمفارقات المتوقعة : ﴿... **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى**

﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

ولنا حديث حول الموضوع في سؤال وجه إلينا ونشر في رسالتنا الموجهة لطلبة الحوزة والمبلغين يحسن الإطلاع عليه[2].

س ١٨ـ ما هي عناصر القوة في مذهب أهل البيت عليهم السلام وفي مسيرة أتباعهم التي جعلتهم يصمدون أمام المحن العسيرة والمتنوعة عبر العصور المديدة؟

ج: عناصر القوة تكمن في اُمور..

أولاً : قوة المذهب في نفسه ، باعتباره هو المذهب الحق المتكامل الفكرة، القوي الحجة، والساطع البرهان ـ عند الجدل العلمي والحساب المنطقي المنصف ـ والخالي عن المفارقات والتناقضات والفجوات ، ويمتلك الحل الأمثل لمسألة خلافة النبوة المقدسة ، التي هي أساس الخلاف في الإسلام ، وبها يقوم كيانه.

ثانياً : تميز الأئمة عليهم السلام بمقام رفيع في نفوس المسلمين

(١) المائدة: ٢.

(٢) رسالة أبوية ومسائل تهم طلبة الحوزة والمبلغين: ٤٨.

بســـبب انتمائهم النســـبي للنبي ﷺ ، وامتلاكهـــم القدر الهائل من الفضائـــل والكرامات المروية في حقهم عن النبي ﷺ وعن واقعهم المشرف ، والمعلومة من حالهم من علمهم وقدسيتهم ، وعظمة شخصيتهم ، حيث فرضوا أنفسهم على الولي والعدو وصاروا وســـام فخر لشـــيعتهم ومواليهم المنتســـبين إليهم والمعتزين بهم.

أضف إلى ذلك حكمتهم في قيادة التشيع وتثقيف الشيعة وشدهم بهم ولائياً وعاطفياً وتقديساً، وتخصيصهم بعلومهم ومعارفهم فـــي أحاديثهم وتعاليمهـــم وزياراتهم وأدعيتهم ، وتربيتهم لهم تربية متميزة في أمرين..

١ ـ فـــي تحكيـــم العقـــل والمنطق، وتحري الاســـتدلال والحساب، وقوة الحجة والبرهان.

٢ ـ حسن المعاشـــرة والمخالطة وسجاحة الخلق ولين الجانب، كما يظهر بمقارنتهم بالآخرين، ويشهد به ما يأتي في جواب الســـؤال التاسع عشر عن أبن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة.

ثالثاً : المحن والمآســـي التي وقعت على أهل البيت عليهم السلام ، حيث سببت..

١ ـ شدّ الناس إليهم ، لأن الناس مع المظلوم.

٢ ـ حمل شيعتهم على التعرض للمحن والصبر عليها في سبيل الحق تأسياً بهم.

٣ ـ خلق مناسبات ومواسم وأجواء دينية تشدّ الشيعة لأئمتهم وأوليائهم، ولمبدئهم من زيارات ومجالس عزاء وشعارات ونحو ذلك.

كما أنها من أقوى أسباب الدعاية للمذهب الشريف ودعوة الناس إليه ، وحركة الشيعة المستمرة في هذا الاتجاه.

رابعاً : استقلالية الحوزة العلمية، والمرجعية الدينية اقتصادياً ومنهجياً ، بحيث لا يمكن السيطرة عليها. وما استتبع ذلك من وجود علماء رفيعي المستوى في العلم والدين، والثبات على المبدأ، والحفاظ على سلامة تعاليم المذهب من التحريف والتشويه ، ووجود جماعة كبيرة من المؤمنين يهتمون بالوصول للحقيقة من طريقهم ، واستمرار التحرك في هذا الاتجاه ، حيث صار ذلك سبباً لتميزهم بكيان قدسي حي ، وزعامة روحية محترمة فاعلة.

خامساً : تتابع المد الإلهي بحدوث كرامات للأئمة عليهم السلام وللأولياء في الوقت المناسب بوجه غير منظم ،

وبنحو يشبه الصدمة الموجبة لإعادة الحيوية وتجديد التعلق بالمذهب وبرموزه، وتجلي حقهـــم وحقيقتهم وارتباطهم بالله تعالى وعنايته بهم.

سادساً : فشل الأطراف الأخرى ذات الطروحات المختلفة ـ إســـلامية كانت أو غيرها ـ في إرضاء الناس وجرّ مودتهم ، ولجوؤهم بالآخرة للقهر والظلم. وانتفاع الشـــيعة ـ من حيث يريـــدون أو لا يريدون ـ بنقطة الضعف هـــذه في التنفير عن أصحاب تلـــك الطروحات ، وإنكار جرائمهـــم ، وبيان بطلان طروحاتهم وفشلها .

وقد جرَّ ذلـــك لهم مودة المظلومين، وعـــداء الظالمين ، وصب نقمتهم عليهم، وتنكيلهم بهم، بعد أن فشلوا في مقاومتهم عقائدياً ، وكان لذلك أعظـــم الأثر في قوة عقيدتهم ومبدئهم ، وارتفاع معنوياتهم وظهور دعوتهم ، وســـماع صوتهم . حيث صـــارت المظلومية وعـــداء الظالمين والتضحيـــة ضد الظلم أوسمة مشرفة لهم.

ولعله إلى هذا يشـــير ما ورد عـــن أئمتنا عليهم السلام من أن الله تعالـــى أعان على عدونا بالحمق. حيـــث جهلوا أو تجاهلوا أن العقيدة لا تنهار أمام الضغوط المادية والظلم والقهر، بل تزداد بذلك صلابة وقوة وتجذراً.

سابعاً : وآخر هذه الأمور ، ولعله أهمها:

أن دعـوة هـذا المذهب الشـريف هي كلمـة الله تعالى الوحيـدة فـي هـذا العالم الـذي تتلاطـم فيه أمـواج الفتن والضـلال، والكفـر والنفاق، والتفسـخ والانحـلال ، والظلم والقهـر. فلابد مـن أن يكون مؤيَّـداً من قبل الله جل شـأنه، محفوفـاً بعنايتـه، مرعيّـاً برعايته ، كي تتم بـه الحجة على الناس ﴿... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ...﴾[1].

وهذه نعمة من الله تعالى على المؤمنين ، فعليهم أن يؤدوا حقها، ويقوموا بشـكرها، ويعرفوا كيف يرعونها، ويحافظون عليها. إذ بالشـكر تدوم النعمة، وقد قال عزّ من قائل: ﴿... لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿... فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُـونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُـمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ﴾[3]، ونعوذ بالله تعالـى من خذلانه ومن مضلات الفتن والنكوص على الأعقاب.

س ١٩ـ تشـن علـى شـيعة أهـل البيت عليهم السلام حملات دعائية مكثَّفة ومن أطراف متعددة ،

---

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) النور: ٦٣.

فكيف يواجهونها فكراً وسلوكاً؟

ج : هــذه الحملة ـ على شراســتها ـ أمــر طبيعي متوقع بلحاظ موقف الشــيعة المتميز في قول كلمة الحقيقة للحقيقة ، وانحيازهم عن المسيرة العالمية التي تسيطر عليها قوى الشر المادية الفاعلة ، من دون أن يركعوا لها أو ينســقوا معها ، بل تصدوا لفضحها باســتقامتهم في ســلوكهم، وبإنكارهم على الإجرام والانحراف ، فلابد أن يوطِّنوا أنفســهم على مثل هذه الحملــة ويتهيئوا لهــا ، وقد مروا بأمثالها أو بأشــد منها في تاريخهم المبدئي الطويل.

والأمل بالله تعالى ـ وببركــة إمام العصر عجل الله فرجه ـ أن يأخذ بناصرهم، ويثبتهم حتى يخرجوا منها ظافرين منتصرين، وترتد عنهم خائبة خاســرة كما ارتدت الحملات الســابقة ، وقد قال تعالى: ﴿... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال عزّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

(١) هود: ٤٩.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

وعلينا في مواجهة هذه الحملة..

أولاً: أن نتجنب العنف بجميع مظاهره، فإنه نقطة ضعف تضر بصاحبها، بل تستغل ضدَّه، وتضخم عليه، وقد تنجم عنه مضاعفات غير محمودة. بل قد يكون بنفسه تعدياً وخروجاً عن الميزان الشرعي، الذي يجب علينا المحافظة عليه في جميع أمورنا، وخصوصاً في صراعنا المبدئي والعقائدي.

وعلينا أن نتحلى بالصبر وهدوء الطرح والوداعة، وسجاحة الخلق، فإن ذلك من آداب أئمتنا عليهم السلام وشيعتهم.

قال ابن أبي الحديد في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيى والتبسم فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه.. وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر. ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك»[2].

وثانياً: الثقة بالنفس نتيجة شعورنا بأننا على حق، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يزيدني كثرة الناس حولي قوة، ولا

(١) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٥.

تفرقهم عني وحشة»[1].

وكفى في رفع معنويتنا شعورنا بأننا مسلمون، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]. وبأنا الفرقة الناجية من المسلمين من بين ثلاث وسبعين فرقة ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف[3].

وقد انتسبنا لأهل البيت عليهم السلام الذين هم القمة في الشرف والدين والقدسية، بإجماع المسلمين .

أضف إلى ذلك ما ورد في الثناء على الشيعة ـ خصوصاً في عصر الغيبة ـ وأنهم أولياء الله حقاً، وأن أهل السماء ينظرون إليهم كما تنظرون إلى الكوكب الدري في السماء ، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «قداستحييت مما أردد هذا الكلام عليكم ما بين أحدكم وبين أن يغتبط إلاّ أن تبلغ نفسه هذه. وأهوى بيده إلى حنجرته...»[4] إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

كما أن الله جل وعلا أكد في كتابه المجيد على أن

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٤٨.
(٢) آل عمران: ٨٥.
(٣) أُنظر الخصال: ٥٨٥ . العمدة: ٧٤.
(٤) المحاسن: ١٧٥.

الشـــاكرين من عباده هم القلة القليلة ، وكذلك الناجون منهم ، حيث قال تعالى:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[1]، وبذلك استفاضت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

وأكد سبحانه على أن المؤمنين معرضون للبلاء والزلزال قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[2]. وقد اســـتفاضت الأحاديـــث بذلك أيضاً ، خصوصاً فـــي عصر الغيبة الذي هو عصر محنة الشيعة .

كما اســـتفاضت به أحاديث أهـــل البيت عليهم السلام. ففي حديث الكتاب المنزل من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله بأســـماء الأئمة من بعده (صلـــوات الله عليهم) حينما يتحدث عن الحجة المنتظر عجل الله فرجه بعد أن يذكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيقول:

«ثم أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين عليه كمال موســـى وبهاء عيسى وصبر أيوب. ستذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوســـهم كما تتهـــادى رؤوس التـــرك والديلـــم، فيقتلون

(١) الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) البقرة: ٢١٤.

ويحرقون ويكونون خائفين وجليــن تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرنين في نسائهم. أولئك أوليائي حقاً. بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشــف الزلازل وأرفع الآصار والأغلال. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»[1]... إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة.

فإذا ضاقت بهم الأُمور فقــد صدق وعد الله تعالى لهم ، وذلك يزيدهم بصيرة في حقهم، وإيماناً بصدق دعوتهم ، كما قال عز من قائل: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾[2].

وثالثاً : اســتذكار تاريخنا المشــرق في الصبر والثبات على الحق والإصرار على السير في طريقه بمبدئية في مراحله المختلفة ، وما اســتتبع ذلك من نجاح وفلاح، حتى فرض على الآخرين على أنه أمر واقع، لابد من الاعتراف به، والتعامل معه.

ورابعاً : الاهتمام بالدعوة والحوار، وبيان وجهة النظر ، وتجديد عرض الأدلة بما يناســب العصر الحاضر ، مع سعة الأفــق والموضوعية الكاملة، والحفــاظ على الصدق، والترفع عــن الالتواء والمغالطات والمهاترات ، فإن قليلاً من حق يغني

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٩٣.
(٢) الأحزاب: ٢٢.

عن كثير من باطل ، كما ورد عن أئمتنا عليهم السلام [1].

ولا سيما مع أنا نملك ـ بحمد الله ـ من الأدلة والبراهين الشيء الكثير الكافي في حق المنصفين من ذوي التبصر والتعقل ، وبعد ذلك: ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2].

وخامساً : الحفاظ على إقامة شعائرنا، وإحياء مناسباتنا ومواسمنا، وطرح مفاهيم أهل البيت عليهم السلام وإحياء أمرهم ، فإن لذلك أعظم الأثر في تجمع الشيعة، وتقاربهم، وتماسكهم ، وتذكيرهم بمفاهيمهم، وتجديد روح العزم والثبات فيهم، وإلفات نظر الآخرين لهم وجرهم إليهم ، فهي الدرع الواقي ، والدعاية الناجحة ، كما يشهد بذلك حث الأئمة عليهم السلام على ذلك وتأكيدهم عليه [3]، وتاريخ الشيعة الطويل.

وسادساً: الاهتمام بوحدة الصف، وجمع الكلمة ، وتخفيف حدة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، والترفع عن التهاتر والتنابز والاتهامات الرخيصة من أجل فرض وجهة النظر على الغير ، أو من أجل حب الظهور وإلفات نظر الآخرين، أو غير ذلك.

وسابعاً : الحذر كل الحذر من الدعوات المنحرفة، أو

(١) أُنظر كتاب الارشاد للشيخ المفيد: ٢ / ١٩٩.
(٢) المائدة: ١٠٥.
(٣) أُنظر وسائل الشيعة: ١٠ / ٣٩٢.

الانهزامية ، فإن في ذلك القضاء على الكيان الشيعي المتكامل وتمييع مفاهيمه ، بل هي دعوات مشبوهة قد يكون الغرض منها الالتفاف على مذهب أهل البيت عليهم السلام وإغفال أتباعه عن حقيقته ، لينفلتوا منهم ويتخلوا عنه من حيث لا يشعرون .

فيجب الوقوف ضدها وضد مدعيها بحزم وحكمة ـ إلى جانب العلماء الأعلام ـ لأنها أخطر كثيراً من الدعوات المضادة الصريحة.

ولذا وقف أئمتنا عليهم السلام بشدة وصلابة في وجه الدعوات المنحرفة ومن دون هوادة.

وإن من أهم أسباب التحصين منها وظهور بطلانها الاطلاع على أكبر عدد من أحاديث النبي والأئمة من آله (صلوات الله عليهم أجمعين) فإنها تكشف عن حقيقة تعاليمهم ومعالم دعوتهم وعن زيف الدعوات المنحرفة والانهزامية المذكورة.

نعم، لا ننصح باستعمال العنف في ذلك وغيره كما ذكرناه آنفاً. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وثامناً : علينا تأكيد ارتباطنا بالله تعالى وإخلاصنا له وشدّ أنفسنا به ، لنكون مشمولين بعنايته مرعيين برعايته ، فإنه خير الناصرين وولي المؤمنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ

الْغَالِبُونَ﴾[1].

س ٢٠ ـ الساحة الشيعية ـ كسائر الساحات ـ تحتوي على مختلف الآراء والاتجاهات، فما هي توجيهاتكم لشيعة أهل البيت عليهم السلام في كيفية تعايشهم فيما بينهم؟

ج : سبق منا التعرض لذلك في أحاديث متعددة ، ونعود هنا فنقول:

أولاً: يجب أن يكون اتخاذ القرار والتوجه لخصوص بعض الاتجاهات دون بعض مبتنياً ـ بعد الالتجاء لله تعالى في التوفيق والتسديد ـ على التثبت والتروي وملاحظة رضى الله تعالى، وصلاح الدين والمؤمنين، وأداء الوظيفة الشرعية، بعيداً عن الدوافع الخارجية، والمصالح الفردية، والرغبات الشخصية ، والتعصب، أو التقليد الأعمى ، فإن الأمر كله لله تعالى ونحن عبيده، نواصينا بيده، وأمرنا إليه. والحذر من تسويل الشيطان وتلبيسه ، حيث قد يوهم الإنسان ـ من أجل أن يشقيه أو يلقح الفتنة بين المؤمنين ويشق كلمتهم ـ بأنه يطلب في وجهته رضا الله والمصلحة العامة ، وقد يستطيع

(١) المائدة: ٥٦.

الدفاع عن وجهة نظره بمعسول الكلام ، مع أنه لو رجع إلى قرارة نفسه لوجد نفسه مدفوعاً بدافع آخر ، وذلك لا يخفى على الله تعالى.

وثانياً: يلزم استبعاد الشدة والعنف في فرض وجهة النظر على الغير، واحترام وجهة نظر الآخرين ، لا بمعنى تنازل الإنسان عن وجهة نظره وما يراه حقاً وصلاحاً من أجل وجهة نظر الآخرين ، بل التعامل معها بتعقل ورزانة وموضوعية وسعة صدر ، ومحاولة تخفيف حدة الخلاف وتقليل نقاطه وتقريب وجهات النظر مهما أمكن ، وفسح المجال للكل في أن يؤدي دوره في خدمة الطائفة وفق قناعاته.

وثالثاً: الحذر ثم الحذر من أن يجر اختلاف وجهة النظر لانتهاك حرمة المؤمن في بدنه أو عرضه بالافتراء والتشنيع والتشهير ، فإن الشيطان قد يسول لذوي النفوس المريضة والأهداف المشبوهة خدمة أهدافهم بإسقاط اعتبار من يعارضها في المجتمع وهتكه ، لئلا يقف في طريقهم ، مع أن انتهاك حرمة المؤمن من أعظم المحرمات قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[1]. وقد أطلنا الكلام في ذلك في جواب

(١) الأحزاب: ٥٨.

بعض الأسئلة التي نشرت في رسالتنا الموجهة لطلبة الحوزة والمبلغين بما يغني عن الإعادة.

ورابعـاً : اختلاف وجهـات النظر لا يمنع مـن التعاون والتنسـيق والاحترام المتبـادل ما دام في حـدود الاجتهاد المسـموح به ، وهو الذي لا يتعدى ثوابت المذهب الحق التي اقتضتها الأدلة القطعية وأقرتها رموز الطائفة.

وإن من أهم موارد المعرفة لتلك الثوابت والبصيرة منها الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام حيث تتضح بهـا وجهتهـم وتعاليمهـم والمفاهيم التـي يقرونها ويرتضون لشيعتهم تبنيها والسير عليها والدعوة لها. فاللازم على من يريد اتخاذ قرار خاص، وتبني موقف معين، أن يكون على معرفة كاملـة بأحاديثهم وإطلاع عليهـا، وعلى بصيرة كاملة من تناسب قراره وموقفه معها، ولا يكتفي بالاطلاع على المفاهيم والحلول المطروحة والمفاضلة بينها من دون ذلك.

أمـا إذا رجع الطـرح وتبني الموقف إلـى زعزعة تلك الثوابت وانتهاكها، والخروج عنها باسـم الإصلاح أو التجديد أو التقريـب أو الانفتـاح على الآخريـن أو غيرها ، فذلك هو الانحراف المرفوض الذي يجب الإنكار عليه والوقوف ضده ، ورفـض التعاون معه ، حفاظاً على كيان الطائفة المحقة وعلى

عقائدها وشخصيتها من التمييع والتسيب.

فإن في التعامل مع هؤلاء ـ مع انتسابهم للطائفة وحشر أنفسهم في زمرتها ـ تمريراً لمخططهم في شرعية الانحراف المذكور باسم الاجتهاد ووجهة النظر ، وتضييعاً لمعالم الحق وحدوده وركائزه.

ونعوذ بالله تعالى من الضلال بعد الهدى ، ونسأله العصمة والسداد، وهو المستعان.

س ٢١ ـ كيف تنظرون إلى التعاون والانفتاح على باقي المذاهب الإسلامية؟

ج : إنها خطوة إيجابية جيدة قد تبناها أهل البيت عليهم السلام ويفرضها الواقع القائم ، فإن الأعداء كما يعادون خط أهل البيت عليهم السلام يعادون الإسلام بإطاره العام ، وكما كان خط أهل البيت حقاً يجب الدفاع عنه، كذلك الإسلام بإطاره العام حق يجب الدفاع عنه.

وقد ضرب أئمتنا عليهم السلام في سبيل ذلك المثل الأعلى في نكران الذات، فقد سكت أمير المؤمنين عليه السلام عن حقه خوفاً على كيان الإسلام من التشتت ، ولم يأل جهداً من أجل خدمة هذا الكيان في النصيحة للحاكمين وتسديدهم والتعاون معهم .

وانتشـــل الإمام الباقر عليه السلام السلطة من موقفها الحرج في قضية ضرب الدراهم والدنانير لصالح الإســـلام [1]، كما فعل الإمام العسكري عليه السلام ذلك أيضاً حينما استجار به المتوكل ـ وهو في سجنه ـ ليدفع عن الإسلام شبهة النصارى في الاستسقاء[2].

وأجاز أئمتنا عليهم السلام لشـــيعتهم القتال في الثغور دفاعاً عن بيضة الإسلام[3].

وعلى ذلك جرى علماؤنا الأعلام في مواقفهم المشـــرفة علـــى تعاقب العصور، حتـــى دعموا العثمانييـــن ـ الذين رأت الشـــيعة منهم الأمرَّين ـ وحملوا السلاح معهم من أجل الدفاع عن هذا الكيان الشريف ، الأمر الذي جرّ عليهم عداء المستعمر الغازي الذي ملك البلاد بعد ذلك وقرر مصيرها.

وفي الأمس القريب انفتح ســـيدنا الأســـتاذ الجد السيد الحكيـــم (طاب ثراه) على بقية المذاهب في العراق حينما وقف في وجه المدّ الشيوعي الإلحادي.

حتى أن هذه المواقف منهم ربما تحمل على الاسترسال وقلة العمق والدهاء، لكن هذا من تتمة الظلم للحقيقة الذي هو ضريبة

(١) حياة الحيوان للدميري: ١ / ١١٤ في مادة (أوز) طبعة دار التحرير.
(٢) أُنظر كشف الغمة: ٢ / ٤٢٩.
(٣) أُنظر وسائل الشيعة: ١١ / ١٩.

الواقعية والمبدئية ، وقد سبق أن قيل: معاوية أدهى من علي عليه السلام[1].

وانظر إلى العمق وبعد النظر في التضحية من أجل المبدئية وخدمة الإسلام في هذه الحادثة، التي قد يحسن إثباتها خدمة للتاريخ وللحقيقة المظلومة ، وهي ما حدثنا به الحجة آية الله الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي قدس سره، فقد ذكر أنه لما بدا من المرحوم الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي قدس سره التهيؤ للثورة ضد الاستعمار البريطاني في العراق المعروفة بثورة العشرين، سافر عمه الشيخ عبد الحسن بن المرحوم الشيخ راضي[2] من النجف الأشرف إلى كربلاء ، فاجتمع بالشيخ وقال له: كيف تعتمد على الناس في الجهاد، وإعلان الثورة ضد الإنكليز؟! أما رأيت الخيانات، والتخاذل، والعجز عن مقاومة الإنكليز في الجهاد؟! أو ما أشبه ذلك.

فقال (طاب ثراه) ما محصله: لا يخفى عليَّ ذلك ، ولكني

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٢٠٠.

(٢) هذا ما نذكره من حديث المرحوم الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي قدس سره. وقد فوجئنا بعد ذلك بأن وفاة المرحوم الشيخ عبد الحسن آل الشيخ راضي سنة (١٣٢٨ هـ) (معارف الرجال: ٢/ ٢٤. وماضي النجف وحاضرها: ٢/ ٢٩٥) أي قبل الثورة المذكورة بما يقرب من عشر سنين. ولعل الصحيح أن الذي قام بذلك هو المرحوم آية الله المرجع الديني الشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحسن المذكور، لأنه كان هو المبرز من أفراد هذه الأسرة في عهد الثورة المذكورة.

أُريد أن أُوقع بيــن العراقيين والإنكليز الــدم ، ليبقى الإنكليز مبغوضاً عندهم فلا يسلبهم دينهم[1].

وأقدم على الثورة ، ولم نجن من ثمرتها إلا ما أراد قدس سره من استحكام البغضاء بين المســتعمر الكافر والناس ، فأبغضهم وأتعبهم بل انتقم منهم ، وأبغضوه ومن يتعامل معه على طول المدة ، ولم ينسجموا معه ولا انسجم معهم.

وقد طال بنا الحديث ، ونرجع إلى ما قلناه أولاً من أن التعاون مع بقية المذاهب الإســلامية من أجل خدمة الكيان الإسلامي أمر جيد جداً ، بل هو ضروري ولاســيما بلحاظ الواقع القائم.

غير أنه لابــد من الحفاظ على عقائدنــا وثوابتنا، وعدم التنازل عن شيء منها في سبيل تسهيل التعاون بيننا وبينهم ، إذ لا معنى للتنازل عن روح الإسلام وحقيقته من أجل الحفاظ على كيانه. ولذا لم يغفل أئمتنا (صلوات الله عليهم) التأكيد على

(١) فقد دخل المستعمر البلاد ـ خلفاً للحكم العثماني الجائر المتهرىء ـ وهي في منتهى الإنحطاط والتخلف المادي والفقر والجهل، وهو يحمل بإحدى يديه تكنولوجيته المتطورة التي بهرت الناس، وبالاخرى شعاراته اللماعة في الحرية والعدالة والمساواة، مع ما يملك من قوى إعلامية ودعاية هائلة، ومع بذل شيء من المال، والنفوذ، والجاه لشراء ضمائر ذوي النفوس المريضة، محاولاً تجريد الناس من دينهم، وإقناعهم بأنه السبب في تخلفهم. كل ذلك لما يدركه من قوة فاعلة في الدين الإسلامي تقف في طريقه، وتمنعه من تمرير مخططاته ومشاريعه الجهنمية المدمرة.

حقهم ودعوتهم كلما وجدوا لذلك سبيلاً.

على أن التعاون لخدمة الإسلام لا يتوقف على التنازل المذكور ، إلا أن يتعنت الطرف المقابل ، بأن لا يهمه بخدمة الإسلام بكيانه العام من أجل تعصبه. ومثل هذا حري بالإعراض ، لأنه أضر على الإسلام والمسلمين ﴿... وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

س ٢٢ ـ ما هي الصيغة الصحيحة لتعامل المسلمين فيما بينهم ؟

ج : ينبغي لهم..

أولاً : أن يعمِّقوا الشعور في أنفسهم بوجوب التلاحم بينهم من أجل الحفاظ على الكيان الإسلامي العام وتقويته ، فإن هذا في نفسه واجب شرعي في حق الكل نتيجة انتمائهم للإسلام، وإيمانهم بأنه الدين الإلهي الحق الذي لا يقبل الله تعالى من العباد غيره ، وبأن الله تعالى قد أمر بنصره وبالجهاد من أجله.

كما أنه اللازم في المرحلة المعاصرة بلحاظ خطط الأعداء وإصرارهم على مقاومة الإسلام بإطاره العام ، وإبعاده

(١) الحج: ٦٤.

بتشريعاته ومفاهيمه عن واقع الحياة، ومحاولة تجريد أبنائه منـــه ، ومحاربة المســـلمين ـ ككل ـ أينما كانوا وكيف كانوا ، وإضعافهم، وعرقلة مســـيرتهم، وشـــق كلمتهم، وإلقاح الفتنة بينهم ، وتجاهل حقوقهم والتغاضي عنها ، والتصام عن سماع صوتهم... إلى غير ذلك.

أضف إلى ذلك أن الأعداء أنفسهم ـ على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ـ إذا وقفوا أمام الإسلام، تناسوا خلافاتهم واتحدوا ضده، فالاستعمار البريطاني خرج من الهند ووقف في كشمير لصالح الهند الكافرة ضد باكستان المسلمة .

وخـــرج مـــن فلســـطين ليتحالـــف مـــع العالـــم علـــى اختـــلاف ملـــه لصالـــح اليهـــود ـ الذيـــن لـــم يكونـــوا قـــد بـــرؤوا مـــن دم المســـيح عليه السلام بعـــد ـ ضـــد المســـلمين .

واليوم يصرّ الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي على دعم الصرب الأرثوذكسي ضدّ المسلمين في البوسنة، وأمام أعينهم ما قام به الصرب من الجرائم الوحشـــية التي تقشـــعر لهولها الأبدان ويندى منها جبين الإنسانية... إلى غير ذلك من مواقفهم.

كل ذلك عداء منهم للإســـلام بكيانه العام وبغضاً منهم للمسلمين بغض النظر عن مذاهبهم ومواقعهم من الأرض.

وكفى بهــذا محفزاً للمســلمين على اختــلاف مذاهبهم للتلاحــم والتكاتــف ، وأن يذللــوا العقبات في ســبيل ذلك ، متناسين خلافاتهم التي لا يزيدهم التقاطع والتناحر من أجلها إلا ضعفاً ووهناً.

وثانياً : أن يتعايشــوا فيما بينهــم بموضوعية واحترام متبادل ، فهم بعد مسلمون لهم حرمة الدم والمال. وعليهم بعد ذلك مراعاة النقاط التالية..

١ ـ فهم واقــع كل طرف على حقيقتــه ، بأخذ معتقداته وأفــكاره من مصادره وكتبه التي يعترف بها ، لا من مصادر الآخريــن وكتبهم ، والتعرف على ســلوكياته مــن مخالطته والتعايــش معه ، ونقد وتمحيــص الصورة المشــوهة التي رســمت له نتيجة التراكمات الكثيرة في العصور المتطاولة ، بسبب التعصب والتباعد، والتشويه المتعمد وغير المتعمد.

٢ ـ اعتماد كل طرف في بيان وجهة نظره والاســتدلال عليها على الطرق العلمية وبموضوعية كاملة ، ومناقشة وجهة نظر الآخرين على هذا الأساس أيضاً ، وتجنب التنابز والتهاتر والتهريج والتشنيع ونحو ذلك من المواقف الانفعالية، التي لا تخدم القضية المطروحة فضلاً عن الكيان الإســلامي العام ، واستمرار الحوار بين الأطراف على هذا الأساس.

٣ ـ نشـــر أفكار كل طرف ـ فـــي العقيدة والفقه والتربية والتاريخ وغيرها ـ في وسائل الإعلام التي يمتلكها كل فريق ، ليطلع الكل على ما عند الكل.

٤ ـ إعطـــاء الحرية لـــكل أحد فيما يختـــار من معتقدات وأفكار في الإطار الإســـلامي العام ، من دون أن يفرض عليه أفكار الآخرين أو يجبر على التنازل عن أفكاره ومعتقداته.

نعم، لا بأس بالحوار الموضوعي الهادئ حول ما هو الحق الحقيق بالفوز والنجاة، والخروج عن المسؤولية مع الله تعالى.

٥ ـ أن يتصدى دعاة التقريب من كل مذهب لمن يخرج عن هذه التعاليم من أبناء مذهبه وينكر عليهم سوء تصرفهم ، حتى يشعروا أنهم في مواجهة داخلية ويتنبه أهل مذهبهم إلى خطأ سلوكهم ، وكذب معلوماتهم ، فيكسد سوقهم ، ويخيب سعيهم.

س ٢٣ ـ مـن خـلال متابعتكـم لأوضـاع الساحة الإسلامية وغيرها ما هي توجيهاتكم للكتاب الإسلاميين والمحققين والمبلغين؟

ج : الـــلازم عليهم الاهتمام بالإنتاج النافع للناس في بيان حقيقة مخفية أو مشـــوَّهة ، أو تأييد حـــقٍّ مهتضم، أو إبطال باطل غالب ، أو توجيه أخلاقي تربوي، أو دعوة لجمع الكلمة،

أو غيــر ذلك مما فيه صلاح الإســلام والمســلمين ، ليكونوا رساليين في عملهم، ويقوموا بوظيفتهم فى الخدمة من موقعه، ويــؤدوا حق الموهبة والفرصة التــي منحهما الله تعالى لهم ، ويقوموا بشكر نعمته عليهم بهما.

ولا يهتموا بالإنتاج ذي العناوين الرنانة والصور الملفتة إذا كان أجــوف خالياً عن الفائــدة ، فضلاً عما إذا كان مضراً بالإســلام والمســلمين في تشــويه الحقائق، أو زرع الفتنة، وتفريق الأُمَّة ، فإن في ذلك خيانة لأمانة البحث والعلم وتعدياً على المبادئ الحقة ، فيكفروا النعمة، ويســتحقوا النقمة ، كما قال عزَّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّـهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[1].

س ٢٤ ـ كيف تنظرون إلى الحوار الإسلامي مع باقي الأديان ، خاصة الدين المسيحي؟

ج : مع تطور وسائل الاتصال حتى صار العالم متشابك المصالــح كأهل المدينة الواحدة، يفترض تفاهم الجميع، وفتح الحــوار بينهم من أجل صلاحهم، والتعايش بينهم على الوجه الأفضل ، وتذليل العقبات الناجمة عن اختلافهم دينياً أو قومياً

(١) إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

أو فكرياً أو غير ذلك.

ولا سيما الأديان السماوية التي تشترك في الحقيقة المقدسة العليا، والتي يفترض فيها الدعوة للمثل والأخلاق ، التي انهارت أو التي هي مهددة بالانهيار نتيجة طغيان الجانب المادي على الأوضاع العالمية المعاصرة ، ونتيجة نشاط القوى الشريرة المتحركة باتجاه التحلل من العقيدة بالغيب، والتنكر للمثل والأخلاق ، من أجل القضاء على إنسانية الإنسان ، وتركيز الجوانب البهيمية فيه، وتحفيز دواعي الجريمة في داخله.

ونخصّ بذلك الديانتين الأكثر انتشاراً في العالم ، وهما الإسلام والمسيحية ، حيث يكونان أشد حاجة للحوار والتنسيق ، ولا سيما وأن هناك تداخلاً بين المسلمين والمسيحيين في كثير من بقاع الأرض ، ووجود الأهداف المشتركة بينهما.

وقد تجلت ـ أخيراً ـ أهمية الحوار في تنسيق الجانب الإسلامي مع الفاتيكان حيث أحبطت ـ في محاولة إنسانية ـ عدة محاولات مشبوهة لتمرير قرارات تمس المثل والأخلاق.

س ٢٥ ـ باعتباركم أحد مراجع الدين ، وعُرِف عنكم اهتمامكم ومتابعتكم لوضع

الساحة الإسلامية ، هل تنظرون إلى المستقبل المنظور بتفاؤل أو قلق ؟

ج : لا ريب في أن المتاعب كثيرة والمشاكل معقدة ، إلا أن التشيع قد مرّ بأزمات كثيرة في عصوره المختلفة وقد خرج منها بعناية الله تعالى ورعاية الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم) ظافراً منتصراً قد تبلورت مفاهيمه، وتكامل كيانه، وفرض نفسه على الآخرين ، فاعترفوا به ككيان قائم يجب التعامل معه.

فالتشيع ـ الذي غرس رسول الله ﷺ بذرته وسقى شجرته، ورفع دعائمه وشيّد أركانه، وأقام الحجة عليه وأخذ العهد به ـ قد نكب بعد ارتحال النبي الأعظم ﷺ للرفيق الأعلى نكبة مريعة كادت تقضي عليه وتنسف بنيانه. حيث تغلبت القوى المضادة واستلمت السلطة، وجدّت في تشييد بنيانها واحكام أمرها وتجاهل غيرها وقمع المعارضين لها وإسكاتهم، بل إنهائهم.

إلاّ أن القلة القليلة والصفوة المخلصة من المؤمنين ثبتت على التشيع وتمسكت به واستطاعت بصبرها وحكمتها الحفاظ عليه وإبقاء شجرته لتؤتي أكلها في الوقت المناسب.

وكان للمد الإلهي ولعظمة قيادته المتمثلة في شخص أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومرونتها أكبر الأثر في ذلك،

حيث بقي التشيع متمثلاً في شـــخصه عليه السلام، ولم يتسن للسطة إنهاؤه، كما أنهت غيره ممَّن هو مجانب لها مخالف لنهجها.

وأخذ التشـــيع بعد أن أسترد أنفاسه يسير بخطى هادئة ثابتة وبتعقل وحكمة حتى تفهمه تدريجياً جماعات كبيرة من المســـلمين ممَّن تهمّه الحقيقة ويســـعى لها، وصار له دعاته وأنصاره.

وإذا به يفوز بالخلافة والسلطة في شخص أمير المؤمنين (صلوات الله عليـــه) من بين جميع الاتجاهات التي تجمعت في معارضة عثمان والشخصيات التي قادتها.

وقـــام أميـــر المؤمنين عليه السلام فـــي دور خلافته وســـلطانه بتجديد التشيع وإظهار معالمه وتثبيت مفاهيمه وتأكيد حجته فـــي صراع مرير انتهى بنكبة التشـــيع القاصمة باستشـــهاده (صلوات الله عليه)، ثم قيام الحكم الأموي الغاشم.

وكان المفترض نهاية التشيع بذلك واندثاره، لأن الناس قد ألفوا انتهاء الحاكم وانتهاء خطه ودعوته بموته، ولم يكونوا يعرفـــون الولاء له والتزام دعوتـــه وخطه بعد رحيله، حيث لا يخشى ضرره، ولا يرجى نفعه، ولا سلطان له يجمع أمره.

لكن معاويـــة فوجئ بالولاء لأميـــر المؤمنين عليه السلام وبقاء

دعوتــه، حتى كان يقول لأهل العراق، إني أعجب من حبكم له بعــد وفاته أكثر من عجبي من نصرتكم له في حياته. وقد جد معاوية من أجل ذلك في مقاومة التشــيع مادياً ومعنوياً وفي التنكيل بالشــيعة بشــتى صنوف التنكيل، وبما سوّد به وجه التاريخ الإسلامي. كل ذلك من أجل القضاء على التشيع وخنق دعوته وإخماد صوته. لكن لم يتسن له ذلك وخاب سعيه.

ثم مــات معاوية وقام يزيــد ليتم مخططــه، وتحركت الشــيعة بالإتجاه المعاكس، وكانت نهاية تحركهم ذلك فاجعة الطــف الدامية، التــي ذهب ضحيتها عميد أهــل البيت النبوي وبقية أصحاب الكســاء سيد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله عليه) والثلة الصالحة من أهل بيته وصحبه من أهل الثبات على المبدأ والفناء فيه.

وعــاد التشــيع معرضاً للضيــاع والاضمحــلال بنحو مأســاوي، لأنه كان بمنظور الأعــداء والمحايدين، وكثير من المؤيدين، حركة سياســية قد انتهت بمقتله عليه السلام وقضي عليها كما قضي على غيرها من الحركات المعارضة للحكم الأموي، كثورة المدينــة المنورة التــي انتهت بواقعة الحــرة الدامية، وحركة ابن الزبير في مكة المكرمة التي انتهت بمقتله وانتهاك حرمة الحرم.

ولكــن الصفوة المؤمنة ـ على قلتها ـ بقيت متمســكة به كعقيــدة مبدئية ذات أصول برهانية، واســتطاعت ـ بصبرها وثباتهــا ورعاية الأئمة مــن أهل البيت (صلــوات الله عليهم) وعناية الله تعالى قبل ذلك ـ أن تفرضه على الواقع الإسلامي.

حتى إذا اتضحت معالمه ونشطت دعوته، تجددت الحملة عليه بوضع مأســاوي بلغ القمة باستشهاد الإمام الكاظم عليه السلام والاستهانة بجثمانه الشريف، باستهتار مليء بالحقد، يستبطن الاعتراف بذلــك الواقع العقيدي ، حيث نــودي عليه بنداءات فظيعة ، منها: «هذا إمام الرافضة» [1].

وقد قارن ذلك انشقاق الواقفة الخطير الذي زعزع أركان التشــيع، وهزَّه هزاً عنيفاً، لولا ثبــات ذوي البصائر ، وإذا به ينتصر بعد فترة قصيرة ذلك الانتصار العظيم في بيعة الإمام الرضا عليه السلام، ثم يفرض نفســه، وتضطر الســلطة للتعامل معه كحقيقة قائمة ، وإن كانت مقاومة وبعنف في بعض الفترات.

ثم جاءت المحنة الكبرى بغيبة صاحب الأمر عجل الله فرجه وحيرة الشيعة بفقد راعيها ، وما اســتتبع ذلك من انشقاقات ومآس عقائديــة ، المفترض فيها أن تكون ســبباً في ضياع معالمه ـ بل نســفه من أساســه ـ بعد فقد الإمام المعصوم المفترض

(١) عيون أخبار الرضا ج١ / ٩٩.

الطاعة ، المسموع الكلمة.

لكنه خرج من تلك المحنة منتصراً بسبب تكامل مفاهيمه وتناسقها وقوة حجته ووضوحها ، وجهاد علمائه الأبرار ، وثبات المؤمنين الأخيار ، وأثبت أنه من القوة بحيث يستطيع الوقوف على أرض الواقع بنفسه حتى مع فقد الإمام ، كما قال أئمتنا عليهم السلام إن الله تعالى لو لم يعلم أن في المؤمنين من يثبت على إمامة الحجة عليه السلام في غيبته لما غيَّبه عنهم[1].

وتوالت الأحداث والمآسي والمتاعب والمصاعب ، وهو لا يزيد إلا قوة وصلابة ، ولا تزيد حجته إلا ظهوراً وكلمته إلا علواً ، حتى انتهى به الأمر اليوم إلى أن يكون هو الناطق باسم الإسلام الحق في مواجهة الكفر والظلم والإنكار عليهما وتعريتهما.

ومن الطبيعي أن تتحالف عليه قوى الكفر والظلم اليوم، لتحاول تمزيقه من الداخل بالخلافات والفتن ، ومقاومته من الخارج في مواجهات مادية عنيفة قتلاً وسجناً وإفقاراً وتشريداً ، وإعلامية كذباً وتهريجاً وسخرية وتشويهاً.

والأمل بالله جل شأنه وببركة إمام العصر عجل الله فرجه أن ترتد

(١) انظر تقريب المعارف ١٨٨.

هذه الهجمة خاسئة خاسرة، ويخرج التشيع من هذه المحنة منتصراً كما خرج من قبل فقد: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]. ولابد لكلمة الله تعالى أن تبقى مسموعة لتقوم بها الحجة على الناس: ﴿... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ...﴾[2].

غير أن هذا التفاؤل لا ينبغي أن يجرنا للتفريط في أداء الوظيفة ، والتسامح في القيام بالواجب، فإن الله تعالى لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وعلينا من أجل ذلك..

أولاً : أن نتوجه إلى الله تعالى بقلوب صافية، ونيات خالصة، ونصلح أمرنا معه ، ونؤكد علاقتنا به، ونحافظ على حدوده وتعاليمه ونوالي أولياءه ونعادي أعداءه ، ونتوكل عليه ونحسن الظن به ولا يغيب عنا طرفة عين.

وثانياً : أن نجدّ في خدمة هذا المبدأ الشريف ، وفي الدفاع عن عقائده وتعاليمه ، ودعم أهل الاستقامة والصلاح والتضامن معهم ، ورفض أهل الزيغ والانحراف مجانبتهم ، والدعوة إلى هذا المبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما فعل علماؤنا السابقون ـ رضي الله عنهم ـ

(١) المجادلة: ٢١..

(٢) الأنفال: ٤٢.

عند المحن وظهور الفتن.

ونعم المولى

المرجعية الدينية

ونسأله سبحانه أن يثبتنا وجميع الموالين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويكفينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ويعيذنا من الشيطان الرجيم ومن مضلات الفتن ، ويزيدنا إيماناً وتسليماً، إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

سماحة المرجع الديني الكبير

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله

اعداد وتقديم

عبد الهادي السيد محمد تقي الحكيم

دار الهلال

وقضايا اخرى

الحلقة الثانية

في حوار صريح مع

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد ؛

فقد أطمعتني إجابات سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم«دام ظله» المسهبة، والموسعة عن الأسئلة والاستفسارات التي اعتدت توجيهها إليه في موضوعات فكرية وحضارية مختلفة، وفي مناسبات وأزمان متفاوتة، في أن أتوجّه إليه اليوم بمسائل تدور حول قطب فكري واحد، وتعنى بهمٍّ متفرد، شغل وبات يشغل المعنيين بالشأن الديني، وبمنظومة القيم الاجتماعية العامة، تلك هي مسألة المرجعية الدينية، متناولة من محاور متعددة، وبؤر وأبعاد مختلفة، سعياً وراء الكشف عن مواقف للمرجعية الدينية

غائبة أو مغيَّبة في ظروف شـــتى، شـــخَّصت فيها المرجعية الدينية واجبها الشرعي فأقدمت عليه، وحدَّدته فسعت اليه، لم تثنها عن اتخاذ القرار الصعب مشـــاكل ومتاعب، ولم تمنعها عن الاقدام عليه عوائق ومصاعـــب، قاصدة وجه الله عزوجل قبـــل كل وجه، طالبة رضا الله جل وعلا قبل كل رضا، مطمئنة النفس بقدر الله، راضية بقضاء الله، صابرة عند بلاء الله، مشتاقة الى لقاء الله، موالية لأولياء الله، معادية لأعداء الله.

ثم جدَّت ظروف، وتغيرت أحوال قضت بأن تعتم ـ حتى على المعنيين بالشأن الديني فضلاً عن غيرهم من المؤمنين ـ جلَّ ما نهضت به هذه المؤسسة الخيرة من أعباء، وما تحملته من أوضاع.

وفي محاولة لربط حلقات الفعل المؤثر بعضها ببعض ـ تجليـــة لما قامت به المرجعية أمس، ووقوفاً على ما تنهض به في هذا الزمن الصعب اليوم، من مســـؤوليات جسام، وهموم كبار، وما رافق ذلك وصاحبه من شـــؤون وشجون، وآمال وآلام، ومحن وأهوال، جوراً من عدو غاشم حيناً، وقساوة من ابن ظالم أحياناً ـ كان هذا الحوار الذي أضعه ـ قارئي الكريم ـ بين يديك آملاً أن أضع أمامك الصورة الغائبة المغيبة لبصر الواقع حيث هو، وتطلع على الحقيقة كما هي.

وقـــد قمت بتخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشـــريفة

الــواردة في النص مــع توضيح مختصر للأحــداث، وإلمامة بســيطة بالمؤسسات، وتعريف موجز بالأعلام. ذاكراً بأسطر معدودة أمام اسم كل علم منهم تاريخ ولادته ووفاته، ومكان دراسته وتحصيله، وفاعلية دوره وتأثيره، مسلطاً الضوء على أهم ما قام به من عمل علمي أو جهادي، وفاتحاً كوَّة على أبرز ما اضطلــع به من دور قيادي أو ريادي، ذاكراً ما لا يزيد عن ثلاثة من كتبه، مشــيراً لمن أراد المزيد الى مصادر الدراسة عنــه ومراجع البحث فيه في هامــش مختصر فضلَّت له أن لا يربو عما كان لظروف المكان.

وأني اذ أتقدم بالشكر الجزيل لسماحة سيدنا «دام ظله» على مــا بذله معي من جهد، وما صرفــه لأجلي من وقت في إجابته عن أسئلتي التي لامست الشغاف حيناً ولابست الجرح أحيانــاً، رغم كثرة مشــاغله وضراوة شــواغله، فإني أبتهل الى العلي القدير أن يحفظ ويســدد، ويعين ويؤيد المشتغلين بالعلم والعمــل والصالح، ويأخذ بأيديهــم وأيدينا جميعاً لما يحبه ويرضاه، إنه نعــم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

في مدينة النجف الاشرف حيث تمتزج العراقة بالحداثة، والتــراث بالمعاصرة، والأصالــة بالتقليد، والضــوء بالظل، والإبداع بالاتِّباع.

وحيث يمتاح الاجتهاد روح النص فيســتنطقه، ويخترق عمق المتن فيستظهره، ويجلي محتوى الشكل فيستشفه.

وحيث تتــآزر علوم اللغة، والبلاغة، والنقد، والتفســير، وأصول الفقه، والمنطق وأضرابها على تحليل الخطاب الشرعي، وسبر أغواره، واستخراج مكنوناته، واستكناه تجلياته.

في مدينــة يجتهد في مســاجدها الماء، ويســتنبط في معاهدها الحبر، ويســتدل في مدارســها الورق، ويتناغم في بحوثها الحس والوجدان والحدس، ويتحاور في رؤاها العقل والنظــر والنقل، حواراً يفكك فيه العقــل والنظر متن النقل ثم

يعيــد تركيبه صعوداً نحو اســتيحاء المضمون واســتنطاق الدلالة واستنباط الحكم.

مدينة تختضب فيها الروح بدفء القرب وطيب الوصال، وهي تستنطق كل يوم ذاهبة وآيبة حول ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالــب عليه السلام نور وعلم وحكمة وفقه وبلاغة الامام علي بــاب مدينة علم رســول الله صلى الله عليه وآله «أنا مدينــة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»، وتســتدعي الحق والعدل والقسط والإنصاف من سيرته وتاريخه «علي مع الحق والحق مع علي»، وتســتحضر صواب الحكم وعمــق الفهم ونصاعة الفتــوى ونزاهة التقــوى من عدالته ونهجــه «أقضاكم علي»، وتستلهم شجاعة الرأي وجرأة القول وثبات القلب وفروسية المنازلــة وصبر المجالدة، من صولاتــه وجولاته «لا فتى الا علي لا سيف إلا ذو الفقار».

فيكون للفتــوى عند ذاك عمق تاريخي متجذر موصول بماض من عصر التشــريع حي، ونصاعة مستوحاة من نور الوحي المبين وإشراقة البيان الكريم وضاءة، وبطولة موروثة من فروسية ســاحات الجهاد وقراع الأسنة والحراب محركة فاعلة.

مدينة عمر جامعتها الدينية أكثر من ألف عام، احتضنت

علــوم اللغة العربيــة وآدابها فصانتها من حمــلات التتريك والتذويب، وعمود الشــعر العربي وتفعيلاتــه فحصَّنتها من موجــات التجريــب والتغريب، وعلوم الشــريعة الاســلامية وأحكامها فحفظتها من طروحات التجديف والتزييف، وأصول العقيدة وفروعها فنزهتها عن محاولات التشويه والتحريف.

متحملــة جرّاء ذلك الموقف الصلب مــا تحمّلت، معانية لأجله ما عانت، من مآس ومحن شــاخ على مجالدتها الشاب، وشــؤون وشــجون شــبَّ على ضراوتها الرضيــع، وآلام ومصائب استنزفت من الدموع والدماء ما لا يصبر على مثيله الاّ الثلَّة المجاهدة.

مدينــة خرّجــت جامعتهــا الدينيــة الحديثــة ـ ناهيك عــن تاريخهــا العلمــي العريق ـ الجمــع الغفير مــن العلماء الأعــلام فغدت قلعــة للمرجعيــة الدينية الأصيلــة، وحصناً مــن حصــون الشــريعة الســمحاء، ومعلمــاً جهاديــاً ينير الدرب للســالكين، وحاضــرة من أهم حواضــر فقه آل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وحيــن تثــار اليوم حــول مســألة المرجعيــة الدينية التساؤلات، وتتفرع الاشــكالات، وتتشعب الطروحات، تتوجه الأنظار صوب النجف الأشــرف من جديد باحثة عن جواب :

يرشد ويسدد، ويقود ويهدي، ويوضح ويبين.

والنجف هذه المرة حاضرة بشخص أحد مراجعها الأجلاء، سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظله)، وهو مَن عرفته جامعة النجف الدينية أُستاذاً من أساتذة حوزتها العلمية العتيدة في الفقه وأصوله سنوات وسنوات، تخرج على يديه فيها نخبة من أفاضل أساتذة الحوزات العلمية ومدرسيها اليوم، في حاضرات النجف الاشرف، وقم المقدسة، ودمشق، ولبنان، والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية... وغيرها.

كما عرفته النجف الأشرف مجتهداً من مجتهديها الأفاضل، عاصر أكثر من مرجعية دينية عامة، وكان قريباً من مرجعية جدِّه الإمام الراحل السيد محسن الحكيم قدس سره أحد أبرز مراجع التقليد الفاعلين لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العصر الحديث.

وعرفته الأوساط العلمية والمحافل الدينية كذلك محققاً بارعاً تشهد له سوح البحث المناظرة بالدقة والعمق والرصانة، ومؤلفاً موسوعياً أحكم في أصول الفقه (المحكم) ، وأضاء في دنيا الفقه (مصباح المنهاج)، وحَشَّى على الكفاية (حدّ الكفاية)، وأنهج للصالحين

(منهـــاج الصالحين)، وأصَّل عمليـــاً (الأصول العملية) وله من المؤلفات والرسائل والكتب من غير هذه وتلك مما هو معروف متداول مشهور.

وحيـــن تصـــدى للمرجعيـــة الدينيـــة، وأصبـــح مـــن مراجـــع التقليـــد الأجلاء، نهـــض بأعباء الزعامـــة والتدريس والفتيـــا، وتولـــى بـــدأب وصبـــر وحنـــو أُمـــور المؤمنيـــن العامـــة، آمـــراً بالمعـــروف، ناهيـــاً عـــن المنكـــر، مهتمـــاً بشـــؤون الفقراء المعوزيـــن المحتاجين، معنيَّـــاً بآمال وآلام المضطهدين المقهورين، مخففاً عن كواهل الآلاف منهم المعاناة الصعبة القاسية المروعة زمن الحصار الجائر والقحط العسير الشديد.

وله من المواقف الجليلة في الشـــأن الاجتماعي والفكري ما لا يسعه هذا التمهيد الموجز.

وها هي ذي الأسئلة تطرح، وها هو ذا سماحته يجيب.

عبد الهادي
السيد محمد تقي الحكيم
١٨ / ذي الحجة الحرام / ١٤١٩ هـ

س١ ـ هـل يقتصـر عمل المرجعيـة الدينية على إصـدار الفتـاوى في الأحـكام الفقهية وشـؤون القضـاء بيـن النـاس، أو يمتـد ليشـمل إضافة لذلـك حفظ بيضة الإسـلام وشـؤون المؤمنين العامة المختلفة والسـير بهم وبالإسـلام نحو مسـتقبل حياتي أفضل وفـق أحـكام وآداب الشـريعة الإسـلامية، وإذا كان عمـل المرجعيـة يمتد لذلك، فهل ترون أهمية إضافة شـروط أخـرى للمرجع المقلـد، وعـدم الاقتصـار علـى الشـروط المذكـورة في الرسـائل العملية مـن أعلمية وعدالة غيرها وذلك للحاجة الماسـة لذلك في هذا العصر؟

ج: الوظيفة الأساسية للمسلم هي العمل على طبق أحكام وآداب الشريعة الإســلامية، وبذلك يحكم العقل، خروجاً عن المســؤولية مع الله تعالى الذي شــرّع تلك الأحكام والآداب، ليستحق بذلك الثواب، ويأمن من العقاب.

وقد أكدت الآيات الكريمة والنصوص الشريفة على ذلك، إرشاداً لحكم العقل المذكور.

نعـــم، لا ريب في أن من جملة الواجبات الشـــرعية حفظ بيضة الإســـلام، والسير بالإسلام والمســـلمين نحو الأفضل، وهـــو لا يخص المجتهـــد المقلَّد، بل يعم كل أحـــد حتى عامة النـــاس. لكن ضوابط العمـــل لابد أن تكون شـــرعية، وتمييز الضوابط الشرعية وتحديدها لغير المجتهد لا يتم إلا بالتقليد، ومع اختلاف المجتهدين يتعين التقليد بالضوابط المذكورة في الرسائل العملية للتقليد، لأنها هي التي دلت عليها الأدلة الشرعية.

وذكر ضوابط غيرها تلاعب بالأحكام الشرعية لا يسوغه الاهتمام بالوظيفة المذكورة بعد أن كان المطلوب القيام بتلك الوظيفة على الوجه الشـــرعي، لا على وجه آخر لا يأذن به الله تعالى ولا يبرئ الذمة معه.

نعم، إذا عيَّن المجتهد المقلّد ضوابط العمل لنفسه وللناس فله أن يستعين في أداء الوظيفة بذوي الاختصاص والمعرفة.

وسيأتي في جواب السؤال اللاحق ما ينفع في المقام.

س ٢ ـ قـد يختلـف أهل الخبـرة في تعيين المجتهـد الأعلـم، فيرشـد بعضهـم لتقليد

مجتهد ويرشد آخرون لتقليد مجتهد آخر، فما هو موقف الناس إزاء ذلك ؟

ج: إذا كان المراد السؤال عن الموقف الشخصي لكل إنسان من أجل خروجه عن عهدة التكليف الشرعي وبراءة ذمته منه فقد استوفت ذلك الرسائل العملية.

والذي نذهب إليه أنه مع اجتماع شرائط الحجية في كلا الطرفين المختلفين من أهل الخبرة يتعين سقوط كلتا الشهادتين عن الحجية، ورجوع الأمر إلى اشتباه الأعلم بين الأطراف الصالحة للتقليد، وحينئذ مع تمامية بقية شروط التقليد في الكل ـ وعمدتها قوة العدالة وشدة الورع ـ إن تيسر للمكلف الاحتياط بالعمل بأحوط القولين فاللازم عليه ذلك تحفظاً على الحكم الشرعي.

ومع صعوبته عليه ولزوم الحرج منه فرحمة الله تعالى بالمؤمنين وسهولة الشريعة الحقة تقضيان بتنازل الشارع الأقدس عن الاحتياط ـ الذي هو مقتضى الأصل الأولي عند اشتباه الحجج ـ واكتفائه بتقليد أحد الأطراف مع تحري الأقرب فالأقرب مهما أمكن، وذلك يقتضي ترجيح مظنون الأعلمية.

ومع تساوي الاحتمال في الأطراف فعليه يترجح الأورع، لأنه الأوثق في التحفظ على الحكم الشرعي بعد عدم ثبوت

أعلمية غيره منه.

ومع عدم المرجح المذكور فالمكلف مخير بين الأطراف المحتملة، فله تقليد أي طرف شاء.

واللازم على المكلف التثبت في جميع ذلك والتأكد منه، ولو بالاستعانة بأهل التقوى والمعرفة من أجل استيضاح الرؤية بالمقدار المستطاع، والإنسان على نفسه بصيرة، ولا يكلف الله تعالى نفساً إلا وسعها.

وإذا كان المراد السؤال عن الموقف من هذا الاختلاف في النظرة إليه والتعامل معه، فالموقف طبيعي جداً بعد كون الأعلمية من الأُمور الاجتهادية الحدسية، التي من شأنها أن تختلف فيها الأنظار، وتتباين فيها وجهات النظر.

ويتعين التعامل معه بموضوعية وانفتاح، مع الاحترام المتبادل، بعد كون الأطراف معنية بالحقيقة، وهي في مقام أداء الأمانة والخروج عن العهدة. وقديماً قيل: «اختلاف الرأي لا يبطل في الحب قضية».

ولا يفترض في الإنسان أن يلزم الآخرين بقناعاته.

وقد يحسن أن نذكر مثالاً عشناه، فقد كان المرحوم آية

الله الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي قدس سره[1] مقتنعاً بالتخيير بين المرجعين العظيمين السيد الحكيم[2] والشيخ محمد رضا آل ياسين(قدس سرهما)[3].

(١) الشيخ محمد طاهر الشيخ عبد الله آل راضي (١٣٢٢ ـ ١٣٨٤ هـ)، من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، متكلم، وشاعر وأديب.

من تآليفه: «بداية الأصول في شرح كفاية الأصول»، «تعليقة على بعض مباحث المكاسب»، «ديوان شعر».

لمزيد من التفاصيل انظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٤٧. شعراء الغري: ٩/ ٤٣٧. معارف الرجال: ١/ ٣١٢ وغيرها.

(٢) السيد محسن السيد مهدي الحكيم (١٣٠٦ ـ ١٣٩٠ هـ)، تولى الزعامة الدينية في عهده، ولد وتوفي في النجف الأشرف، فقيه ضليع من أكابر المحققين، قام بمشاريع دينية وثقافية كبيرة، وتصدى للشأن العام مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

من مؤلفاته: «مستمسك العروة الوثقى»، «حقائق الأصول»، «نهج الفقاهة» وغيرها كثير.

لمزيد من التفاصيل انظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١٤/ ٦٠. مقدمة كتاب دليل الناسك للسيد المترجم قدس سره تحقيق السيد محمد القاضي، الطبعة الثالثة، منشورات مدرسة دار الحكمة: ١ ، طبع مؤسسة المنار ، قم ، ١٩٩٥م . وراجع كتاب: الامام محسن الحكيم رسالة جامعية للكاتب عدنان ابراهيم السراج ، إشراف الدكتور وجيه الكوثراني ، دار الزهراء ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣ . ماضي النجف وحاضرها :١/ ١١٩ . معارف الرجال: ٣ ١٢١ وغيرها كثير.

(٣) الشيخ محمد رضا الشيخ عبد الحسين الشيخ راضي (١٢٩٧ ـ ١٣٧٠ هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف أديب وشاعر.

من تآليفه: «بلغة الراغبين في فقه آل ياسين»، «حاشية العروة الوثقى»، «ديوان شعر».

لمزيد من التفاصيل انظر: الذريعة في تصانيف الشيعة: ١٧/ ١٤٧. شعراء الغري: ٨/ ٣٨٢. ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٥٣٢ وغيرها.

وكان له جماعة يسترشدونه في خوزستان، فأخبرهم بقناعته، فاختاروا السيد الحكيم قدس سره وقلدوه، بينما اختار هو لأهل بيته الشيخ آل ياسين قدس سره فقلدوه. وبقيت علاقته بجماعته وبالمرجعين المعظمين وبجماعتهما على أحسنها مع اطلاعهم على موقفه.

ومن قبل كان السيد الحكيم قدس سره يرشد للمرحوم الميرزا النائيني قدس سره[1]، وأخوه الأكبر منه آية الله السيد محمود الحكيم قدس سره[2] يرشد للمرحوم المرجع المعظم الشيخ علي نجل الشيخ باقر الجواهري قدس سره[3]، كل منهما حسب قناعته من دون

(١) الشيخ محمد حسين الشيخ عبد الرحيم النائيني (١٢٧٧ ـ ١٣٥٥ هـ) من أكابر مدرسي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومراجع التقليد فيها، أصولي مجدد وفيلسوف، من زعماء الثورة .

من مؤلفاته: «تنبيه الأُمَّة وتنزيه الملة»، «حاشية العروة الوثقى»، «رسالة في المعاني الحرفية» وغيرها .

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة: ٢٦/ ٢١٥ .الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٤/ ٤٤٠. ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٣٦٤ وغيرها.

(٢) السيد محمود السيد مهدي الحكيم (١٢٩٨ ـ ١٣٧٥ هـ)، من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومدرسيها الأفاضل، له تعليقات وحواشي على الكتب الدراسية في الفقه والأصول .

لمزيد من التفاصيل انظر: معارف الرجال: ٣/ ١٢٩. معجم رجال الفكر والادب في النجف: ١/ ٤٢٣ وغيرها.

(٣) من مراجع التقليد في النجف الأشرف، ومن أساتذة الفقه والاصول، توفي عام ١٣٤٠هـ

أن يؤثر ذلك على علاقتهما الحميمة. ونظائر ذلك كثيرة في سلوك أهل الرشد والتقوى.

س ٣ ـ هل تفضلون أن يجتمع عدد معتد به من أهل الخبرة ـ كطلاب البحث الخارج المشهود لهم بالفضل والورع ـ للتشاور كلما توفي مجتهد مقلد، كي يرشدوا الناس لمن يرونه أهلاً للتقليد، حفظاً لسلامة الخط أمام دعاوى غير المؤهلين، بدل أن يترك الناس في هذا الخضم المائج، فيسهل التأثير عليهم بوسائل شتى ؟

ج: الطرح المذكور يزيد في تعقد المشكلة إذا بقي على هذا النحو من الإطلاق والسيولة، لعدم انضباط مفرداته عند التطبيق، وذلك بملاحظة..

١ ـ أن العدد المعتد به قابل للزيادة والنقصان.

٢ ـ أن حضور البحث الخارج يتراوح بين المدة الطويلة

وكان أديباً شاعراً.

من مؤلفاته: «حاشية العروة الوثقى».

لمزيد من التفاصيل انظر: ماضي النجف وحاضرها: ٢/ ١٢٠. معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال ألف عام :١/ ٣٦٩. شعراء الغري: ١٠/ ١٤١ وغيرها.

والقصيرة.

٣ ـ كما يتراوح بين المدرسين الذين يكون الحضور عندهم معياراً في كون الشخص من أهل الخبرة، إذ لا ريب في أن كفاءة المدرّس قد يكون لها الأثر في الكفاءة العلمية للتلميذ.

٤ ـ وكذا يختلف باختلاف قابليات التلميذ الفكرية وجهده العلمي.

٥ ـ والشهادة للطالب بالفضل والورع، أمر غير منضبط من حيثية عدد الشهود، وكفاءاتهم العلمية والدينية التي تؤهلهم للشهادة، وتكون معياراً في قبول شهادتهم.

٦ ـ كما أن المؤتمرين قد يختلفون في قناعاتهم، فتعود المشكلة.

ولا نذكر ما نذكره لجاجة وعناداً وتعجيزاً، بل أدنى ملاحظة لقوانين الانتخابات يشهد بأن هذا الطرح غير صالح لتنظيم الأُمور، وأنه يفتح أبواب الخلاف والشقاق، وكثيراً ما تكون السيولة في بعض النقاط بوجه أخف من هذا مثاراً للخلاف والتحير الملزم بالرجوع للمحاكم القانونية من أجل رفع مشكلة الإجمال.

هذا، مضافاً إلى أن القضية ترتبط بتحديد الموقف

الشـــرعي، فـــإن أُريـــد بهـــذا الطرح الإلـــزام بـــه توقف على الاســـتدلال لـــه ولخصوصياتـــه بأدلـــة شـــرعية مقنعـــة، وإذا أُريـــد رفـــع الخـــلاف فلابد من كـــون الأدلة مـــن القوة والمتانـــة بحيـــث توجـــب وضوح الإلـــزام بهذا الطـــرح عند الـــكل وحصوله بالإجمـــاع، ولا يُظَن بأحد القـــدرة على ذلك.

وإن لم يكن ملزِماً عـــاد الخلاف من جديد، إذ كما أمكن الرد على كثير من الشهادات الفردية الحاصلة الآن بالمعارضة بغيرها، أو بالتشـــكيك في واقعية الشـــهود وغير ذلك، يمكن التشنيع بذلك على الشهادة المجموعية التي يتكفلها هذا الطرح.

أمـــا إذا أُريـــد التدقيق في هذه المـــواد وضبطها بحدود معينـــة، بنحو يمنع من الخلاف في تطبيقها مع الإلزام بالنتائج المتمحضة عنها بنحو لا شرعية لما يخرج عنها رجع هذا الطرح للمرجعية المؤسساتية التي سبق منا الحديث عنها مفصلاً.

وأمـــا دعاوى غيـــر المؤهلين فالنظـــرة الواقعية العملية تقتضي بأنها لابد منهـــا، وأن تنظيم طرق الوصول للمرجعية يزيد من مشـــكلتها، كما يشـــهد به النظر للمؤسسات الدينية في العالم بعد مقارنة نتائجها بالأهداف منها حين تأسيســـها، ومقارنـــة النتائج حيـــن أول تأسيســـها بالنتائـــج المتأخرة.

وأهم شيء في التخفيف من مشكلة دعاوى غير المؤهلين

ومن الانحـــراف بجميع وجوهه هو الإخـــلاص والواقعية في رعاية الموازين الشرعية، الذي نؤكد عليه دائماً، والذي تتمتع المرجعية الدينية الشيعية بنســـبة عالية منه بتوفيق الله تعالى وتســـديده ورعاية إمام العصر عجل الله فرجه الشريف. الـــذي ينتفع الناس به في غيبته، كما ينتفعون بالشمس إذا جللها السحاب.

س ٤ ـ هل تفضلون أن يرشد المرجع الناس لتقليد من يراه أهلاً من بعده للمرجعية، كما فعـل الشـيخ الجليـل صاحـب الجواهر قدس سره عندمـا حضرته الوفاة حيث رشـح من بعده للمرجعيـة الدينية المحقق المقدس الشـيخ مرتضى الانصاري قدس سره ؟

ج: إذا كان المقصود أن يكون ذلك سُـــنـة متبعة إلزامية فلا مجال له..

أولاً: لعـــدم الدليل الشـــرعي على رجحانـــه، فضلاً عن لزومه. كما لا دليل على حجيته بنحو لا يعارض بشهادة غيره من أهل الخبرة، لأن المرجع لا يزيد عن كونه رجلاً واحداً من أهل الخبرة. وهالة المرجعية لا تكفي في الحجية.

نعـــم، قد يكون لهـــا أثر في تكوين قناعـــة لبعض الناس

فيطمئنون أو يقطعون بأهلية المرشَّح بسببها وخطـأ المعارض.

لكن الحجة حينئذ القناعة المذكورة، لا قول المرجع. ولا ضابط لذلك.

وثانيـاً: لأن تحديد المرجع العام الذي له حق الترشـيح كثيراً ما لا يكون ميسوراً، إذ كثيراً ما تكون المرجعية مشتركة بين أكثر من واحد بِنِسَـب غير مضبوطـة، كما ربما يحصل الخطأ في تحديد ذلك عـن عمد أو من دون عمد. وذلك يفتح باب الشقاق والخلاف.

وثالثاً: لأن المرجع غير معصوم، بل هو بشـر معرّض للمؤثرات الخارجية التي توجـب التباس الأمر عليه، فلو كان ترشـيحه ملزِّماً لتردّت المرجعية تدريجيـاً، حيث إن الخطأ الأول في الاختيار يتسـبب في اختيـار المرجع الضعيف غير المؤهـل، الذي هو أولى بالتعـرض للخطأ في الاختيار، ومثل ذلك يجري في الطبقات اللاحقة، فكل مرجع أضعف ممن قبله، حتى قد لا يبقى شيء.

على أن شعور قوى الشرّ الفاعلة في الساحة بوجود النظام الملزم في المرجعية يجعلها تتكالب على النفوذ للكيان المرجعي من أجل التحكم فيه وحرف المرجعية عن طريقها المسـتقيم.

ولـذا كان إرجـاع الأئمـة عليهم السلام للعلمـاء علـى نحـو الإطـلاق مـن دون تنبيـه لترشـيح بعضهـم لبعض ونص بعضهـم علـى بعـض. إلا مـا كان منهـم ناقلاً عـن الإمام المعصـوم عليه السلام، كنص النـواب الأربعة بعضهـم على بعض.

وقد سبق منا في الحديث عن المرجعية المؤسساتية ما ينفع في المقام، لأنهما من باب واحد[1].

نعم، قد يترجح لبعض المراجع ترشـيح شـخص بعده للمرجعيـة، لتمامية ميزانه عنده وحسـن التنويه عنه بنظره، كما حصل من الشيخ صاحب الجواهر قدس سره[2] بالإضافة للمحقق المقدس الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره[3].

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: ص ٤١ .

(٢) الشيخ محمد حسن الشيخ باقر المعروف بصاحب الجواهر (١٢٠٢ ـ ١٢٦٦ هـ)، ولد ونبغ وتوفي في النجف الأشرف، تولى المرجعية في عصره، وكان من أكابر الفقهاء، من أشهر كتبه «جواهر الكلام في شرح شرايع الاسلام»، «نجاة العبادة»، «هدية الناسكين». لمزيد من التفاصيل اُنظر: أعيان الشيعة :٤٣/ ٢٢٧. الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٥ / ٢٧٥ . روضات الجنات: ٢ / ٣٠٤ . ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ١٢٩ وغيرها.

(٣) الشيخ مرتضى الشيخ محمد أمين ينتهي نسبه الى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١) من مجددي المدرسة الفقهية الأصولية في جامعة النجف الأشرف الدينية، ومن أكابر محققيها، توفي في النجف الأشرف بعد أن تولى الزعامة الدينية في عهده. من أشهر كتبه «المكاسب» و«فرائد الأصول»، «قاعدة لا ضرر ولا ضرار»، وعدد كثير. لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة: ٤٨ / ٤٣ ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ٤٧. الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٦ / ١٥٢. الاعلام: ٨/ ٥٨ وغيرها.

لكنــه لا يكــون ملزماً. ولذا لم يلتزم بترشــيح الشــيخ صاحب الجواهر قدس سره كثير من الناس، فقد كان هناك جماعة من مراجع التقليد معاصرين للشيخ الأنصاري قدس سره، كالشيخ مهدي كاشــف الغطاء[1]، والشيخ محســن خنفر[2]، والشيخ مشكور الحولاوي[3]، وغيرهم.

ولم يمنعهم ترشيح صاحب الجواهر قدس سره له من تصدّيهم للتقليد، كما لم يمنع الناس من تقليدهم.

(١) الشيخ مهدي الشيخ علي كاشف الغطاء (١٢٢٦ ـ ١٢٨٩ هـ) من مراجع التقليد في عصره وكان استاذاً مميزاً في الفقه والاصول وأديباً وشاعراً مجيداً، توفي في النجف الأشرف.
له من الكتب «الخيارات في شرح كتاب خيارات الشرايع»، «ديوان شعر» و«كتاب البيع»، وغيرها.
لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة: ٤٨ / ١٥١ الذريعة في تصانيف الشيعة: ٧/ ٢٨٠، ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ٢٠٥ شعراء الغري: ١٢ / ١٠٨ وغيرها.

(٢) الشيخ محسن الشيخ محمد خنفر (١١٧٦ ـ ١٢٧٠ هـ) من مراجع التقليد في عصره، كان متخصصاً في تدريس الطب اليوناني، وعلوم الرياضة، والحكمة، وكان شاعراً. توفي في النجف الأشرف.
من كتبه «مقامة النجاة»، كتابات في الفقه والاصول والكلام.
لمزيد من التفاصيل اُنظر: أعيان الشيعة: ٤٣ / ١٧٧. الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٢١ / ٣٨٦. ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ٢٥٩ وغيرها.

(٣) الشيخ مشكور محمد الحولاوي (١٢٠٩ ـ ١٢٧١ هـ) مجتهد مقلَّد.
له من الكتب «مناسك الحج»، «رسالة في منجزات المريض» وغيرها.
لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة: ٤٧ / ١٢. وماضي النجف وحاضرها: ٢ / ١١٧. ومعارف الرجال: ٣ / ٦ وغيرها.

علـى أنـا لا نحبـذ تكرار هـذا الأمـر بنحـو التعاقب وإن كان بنحـو الترشـيح غيـر الملزم، لأن ذلـك قد يلتبس علـى العامـة فيتوهمونـه ملزمـاً، ولا سـيما إذا اسـتغله ذووا المصالـح، وفـي ذلـك تحريـف للحكـم الشـرعي.

ولذا لا نحبذ الاسـتمرار على بعض الحلول الشـخصية للمراجـع العظام، حيث قد يكون لهيمنة الاكبار لهم والإعجاب بهم أثر في التباسها بالحكم الشرعي واختلاط الأمر على العامة.

س ٥ ـ نلاحـظ أن بعـض المؤمنيـن يقلـد مجتهـداً ـ غيـر مقلَّـده ـ في بعض المسـائل تبعاً لسـهولة فتوى هـذا المجتهد فيها، فهل هذا جائز؟

ج: لا يجـوز ذلك. أما إذا كان مقلَّده الأصلي هو الأرجح في العلم والعدالة فظاهـر، لأن المرجوح ليس حجة بالفرض، فكيف يجوز العدول عن الحجة لغير الحجة؟!

وأما مع التسـاوي بين المجتهدين وفقد المرجح بينهما فلما سبق من أن الأصل حينئذ يقتضي التحفظ والعمل بأحوط القوليـن، والتخيير إنما سـاغ رفعاً للحـرج، والمتيقن حينئذ التخيير بين مجمـوع الآراء لكل من الطرفيـن، فله أن يختار

أحدهما في مجموع فتاواه الإلزامية والتخفيفية.

أما التخيير الكيفي باختيار المكلف ما يحلو له من مسائل كل منهما، وما هو الأقرب لهواه ورغباته الشخصية، فلا يقين بجوازه. ولاسيما مع أن التخيير على الوجه الأول هو الأقرب في التحفظ على الحكم الشرعي والاحتياط له الذي هو اللازم الأولي.

بـــل لو فتح هذا الباب وأراد المكلف أن يختار الأخف من الفتاوى مع كثـــرة المجتهدين فقد يقطـــع بالتفريط بكثير من التكاليف وضياعها عليه.

س ٦ـ ما هـو نظركم حول انفتاح المرجعية الدينيـة والنشـاط التبليغـي الإسـلامي على وسـائل الاتصـال الحديثـة، مثـل القنـوات الفضائيـة، والانترنـت، مـع مـا يتطلبـه مـن إمكانات تهيئة وجهاز إداري؟

ج: المرجعية والنشاط التبليغي بأمسِّ الحاجة إلى وسائل الاتصال المذكورة من أجل توسيع رقعة العمل وتعميم الفائدة، خصوصاً مـــع تفرق المؤمنيـــن في هذه الأيام وانتشـــارهم في بقـــاع الأرض وأطرافها، حيث تؤدي هذه الوســـائل أعظم الخدمات وأنفعها.

وقد انفتحت المرجعية وسائر النشاطات الدينية من قبل ـ من دون تلكؤ ـ على الوسائل الحديثة، كل في وقته، كالطباعة، ووسائل النقل المختلفة، والكهرباء، والاتصال التلغرافي، والتليفوني وغيرها، وجنت منها أفضل الثمرات في بيان حقيقتها للعالم، وإسماع صوتها، وإيصال دعوتها وإقامة حجتها.

ونحن مع كل جديد مثمر لا يتنافى مع تعاليم ديننا، ولا يضر بمُثُلِنا وأخلاقياتنا وكرامتنا[1]، قال الله تعالى:

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾[2]، وقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً...﴾[3].

نعم، قد لا تسارع المرجعية لبعض هذه الوسائل لقصور مادي، أو إداري، أو لمحاذير موقتة، بسبب سوء استغلال هذه الوسائل، بحيث يخشى من أضرارها، أو تكون أضرارها أكثر من فوائدها، أو بحيث يوجب سوء سمعتها بنحو تنافي قدسية الكيان المرجعي، التي لا ينبغي للمرجعية أن تتنازل عنها أو تفرّط فيها.

(١) لمكتب سماحته «دام ظله» موقع في (الانترنت) فتح منذ عدة سنوات:
www.alhakeem.com
وهناك موقع للثقافة الإسلامية المتنوعة تحت رعاية مكتب سماحته باسم (الحكمة):
www.alhikmeh.com

(٢) التوبة: ١٠٥

(٣) البقرة: ٢٩ .

وهو أمـــر يختلـــف باختـــلاف الإمكانيـــات والظروف واختلاف وجهات النظر، من دون أن يؤثر على النظرة الأولية الدينية للوسائل المذكورة.

س٧ـ نلاحظ في بعض البلدان والمجتمعات فجـوة بيـن طلبـة الحـوزة العلميـة والطلبة الجامعييـن، فمـا هـي توجيهاتكـم لتلاحم هاتين الشريحتين وانسجامهما؟

ج: بعد أن تحللت كثير مـــن العقد بين الطرفين، وأصبح التفاهـــم بينهما ميســـوراً، فالـــلازم اهتمامهما معـــاً بالحوار والتنســـيق وتبادل المعلومات، لما في ذلك من مكاسب ثقافية ودينية للطرفين، وللدين الحنيف الذي يجمعهما.

فطلبة الحوزة حينما ينفتحون على الطلبة الجامعيين يؤدون دوراً مهمّـــاً في أداء وظيفتهم وتبليغ رســـالتهم، لأهمية الطلبة الجامعيين بعد كثرتهم عدداً وارتفاع مستواهم الفكري والثقافي.

كما أن الطلبة الجامعيين حينما ينفتحون على طلبة الحوزة يتعرفون على دينهم ويتسنى لهم أن يستثمروا معلوماتهم بما لا يتنافى معه.

كما يتيسر لهم نشره بين شريحة كبيرة من الناس ممَّن

ينفتحون عليه ويتعايشـــون معه، خصوصاً الأجيال الناشـــئة التى يقومون بتثقيفها وتربيتهـــا، وبذلك يؤدون خدمة كبرى لدينهم العظيـــم ، ويفوزون بأجر ذلك وعظيـــم ثوابه، ولتكن من ثمرات هذا الانفتاح والحوار صياغة المفاهيم الإســـلامية صياغة حديثة هادفة تســـهل تعميم طرحهـــا عالمياً، والدعوة لها والتبشـــير بها وبالإسلام العظيم، لهداية البشرية الضائعة والمغمورة بالضلال والمادية، وبذلك يؤدون أعظم الخدمات لتعاليمنا الحقة، ولديننا الحنيف، وللبشرية التائهة، ويخرجون بذلك عن مسؤولياتهم الجسام بعون الله تعالى وتوفيقه ولطف عنايته ورعايته.

نعـــم، على الجميـــع أن يعرفـــوا عِظَم المســـؤولية التي يتحملونهـــا أزاء دينهـــم وتعاليمهم، فالـــلازم عليهم مزيد من الاهتمام بأخـــذ المفاهيم الدينية مـــن مصادرها الأصيلة، من الكتاب المجيد وأحاديث أهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) بتفهم وتبصر مع الاستعانة بأهل العلم والإختصاص من ذوي التقوى والأمانة والورع.

وعليهـــم بعد ذلك عرضها بحدودهـــا الحقيقية، وبأمانة وإخلاص، بعيداً عن التحريف والتحوير، وتبنيها بفخر واعتزاز، وبمعنويـــات عالية، بعيدة عـــن الانهزام والخجـــل والاعتذار

والتحوير والتمييع.

فقــد قام كثيــر من الكتّــاب والمتحدثين بعــرض كثير من مفاهيم الإســلام وطروحاته ومعالجاته لمشــاكل الحياة والإنسان بتشــذيب وتحوير، بل مسخ وتشويه، لتتناسب مع المفاهيــم المعاصرة التــي تتبناها أو تدعيهــا القوى العالمية الفاعلة.

بل قد يصل بهم الأمر إلى إنكار بعض الحقائق الإسلامية، وتجريد الإسلام منها بســبب تنافرها مع القضايا المعاصرة. وهم يسيرون في ذلك باتجاهين..

الأول: تبرير الطروحات المعاصرة وبيان شرعيتها دينياً في محاولة للدعوة إليها وتمريرها في المجتمع الإسلامي.

الثانــي: بيان أن الإســلام دين الحضــارة والتقدم وأنه يتماشى مع العصر بعيداً عن الرجعية والتخلف، بهدف الدعاية للإسلام والتنويه به.

والهدف الثانــي وإن كان نبيلاً، إلا أنه لا يبرر تشــويه الحقيقة وتحريف المفهوم الديني أو مسخه، فضلاً عن إنكاره.

ومــن الظلــم للحقيقــة وللإســلام ـ الذي هــو دين الله تعالــى الخالد وكلمته الباقية ـ إخضاعه لمســلّمات الحضارة

المعاصرة التي تنامت في أحضـــان مجتمعات كافرة متحللة، وقد أُطلق كثير منها كشـــعارات فارغة براقـــة أُريد بها تلميع الوجه البشـــع لتلـــك المجتمعات من أجل تمريـــر مخططاتها المشبوهة، وتحقيق أطماعها الظالمة، من دون أن تنزل بجدّية للواقع العملي لتلك المجتمعات التي جنت منها البشـــرية ومن حضارتها القائمة أفدح الخســـائر في مُثُلها وأخلاقياتها وأشد المتاعب في تعايشها ومسيرتها.

وفـــي الحقيقة العرض المذكور لقضايا الإســـلام ـ مهما كان الغرض منه ـ يكشـــف عن الروح الانهزامية التي يحملها أولئـــك النفر أمام تلك الحضارة إمـــا للانبهار بها، أو للتفاعل معهـــا كحقيقة ثابتة لابد من الاعتراف بها، والاستســـلام لها، والتعايش معها.

وإذا كان يُـــرى فـــي بعـــض القضايا الإســـلامية بعض الفجوات والسلبيات، فذلك إما أن يكون بسبب مألوفية قضايا الحضارة المعاصرة الموجب للتنفير ممّا يخالفها وإن كان هو الأصلح والألصق بالواقع، أو بسبب سوء التنفيذ والتطبيق من المســـلمين أنفســـهم، أو من الظالمين الذين حالوا دون تطبيق قضايا الإسلام بأكملها، بما في ذلك ولاية الأئمة المعصومين (صلـــوات الله عليهم)، فكان الإســـلام العملي القائم على أرض

الواقع مبتوراً غيــر متكامل، وكان نتيجة ذلك ظهور الفجوات والســلبيات، من دون نقــص في قضايا الإســلام ومفاهيمه الشريفة المتكاملة، ولا مسؤولية على الإسلام من ذلك.

كمــا أنــه لا يبرر تحوير تلــك القضايــا والمفاهيم ولا إنكارهــا ومحاولة التنصل منها بعــد أن كانت حقاً من الدين الذي شــرَّعه الله تعالى، وهو المالك المطلق للدنيا وما فيها من إنسان وحيوان وكل شيء، والعالم بالنظام الأصلح الأكمل.

س ٨ ـ ما هي أهــم مميزات الحوزة العلمية والمرجعية الدينية الإسلامية الشيعية بالنسبة لباقي المؤسسات الدينية للأديان والمذاهب الأخرى ؟

ج: ترتكز مدرسة أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم على دعامتين متأصلتين في كيانها..

الأُولــى: الثقافة الحقيقية والعلــم النافع، المبني على قوة الحجة ودقة الحســاب والملاحظة، من أجل الوصول للحقيقة ومعرفة الوظيفة الشرعية، حيث عُرِفوا بذلك هم عليهم السلام وشيعتهم مــن العصور الأُولــى، وتميزوا به عن غيرهم فــي تعاليمهم، واحتجاجاتهــم، ومخاصماتهــم، وأحاديثهم في مجالســهم،

وخطبهم، وأشعارهم.

الثانية: الإخــلاص في طلب العلم والمعرفة، أداء للواجب وخروجاً عن العهدة، لا طلباً للدنيا ومن أجل المكاسب المادية أو المعنوية والمراتــب والمناصب، لأنهم (صلوات الله عليهم) القمة في الإخلاص لله تعالى والدعوة له والتذكير به . وشيعتهم يستضيئون بأنوارهم، وينظرون بمشكاتهم، ويتكامل كيانهم بفيــض بركاتهم وقــدس نفحاتهم، كل ذلك فــي ظل عنايتهم ورعايتهم عليهم السلام.

وقد اســتمرَّت هذه المدرســة بهاتيــن الدعامتين ـ بعد الغيبة ـ متمثلة بالحوزات العلمية الشيعية.

ولا يعني ذلك عدم وجود الدخيل والغث فيها، فإن ذلك أمر طبيعي بعد غياب العصمة، وإنما نريد بذلك أن الأطار العام للحــوزات لا يخرج عن هاتين الدعامتين ببركة أهل البيت عليهم السلام وبرعايــة قائمهم عجل الله فرجه، بحيث يعتبر الخــارج عنهما خارجاً عن الطبيعة الأولية للحوزات، وعما هــو المفترض فيها والمنتظر منها.

ولذا تبتني العلاقة بيــن عموم المؤمنين والحوزات على الروحانية والتقديس، وحتــى صار للمرجع الديني في نفوس المؤمنين مكانة ســامية ترتفع إلى مســتوى تمثيل الإمام عليه السلام

الذي هو مثال القدسية الأكمل.

وقد ساعد على بقاء هاتين الظاهرتين تركيبة الحوزة وعلاقاتها بالناس، فإنها..

أولاً: لا تتقيد بنظام حدّي في تحديد مراحل لدراسة، بل كل شخص يعمل بقناعاته وقابلياته في إطار الحوزة العام، بحرية تامة وحسب القدرات المتاحة له، من دون أن يتقيد بجدول زمني خاص ولا بأستاذ خاص ولا بغير ذلك، حيث يتيسر له بذلك استغلال قابلياته وملكاته على أتم وجه، كما يقتضيه الواجب الشرعي في تحقيق الحق للخروج عن عهدة التكاليف الإلهية المقدسة، وبراءة الذمة منها.

وثانياً: عدم خضوعها للسلطة القاهرة التي تتحكم في قبول الأشخاص في الحوزة، وفي تشخيص من يبلغ المراحل المتعاقبة فيها من المرحلة الأولى حتى المرجعية العظمى، بل لكل أحد الدخول في الحوزة، والمعيار في أهليته لها ومرحلته فيها دينياً وعلمياً على القناعات الفردية للناس، نتيجة الاحتكاك بالشخص وتقييم الأشخاص الموثوقين له، في علمه ودينه، وقابليته الشخصية في الظهور على الساحة وفرض نفسه على الناس، والتحكم في قناعتهم المبنية في الإطار العام على الواقعية والإخلاص، من دون نظام محدد لذلك.

وثالثاً: تســـتقل مادياً عن الدولة وعـــن غيرها من ذوي النفوذ، بل تعتمد بوجه عام على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون بوجه طوعي قياماً بالتكليف الشـــرعي من دون قيد ولا شرط ولا نظام يتيسر التحكم فيه.

وقد كان لهـــذه الأُمور ـ بعد تســـديد الله تعالى ورعاية صاحـــب الأمر عجل الله تعالى فرجه ـ أعظم الأثر في محافظة الحوزات على بهائها وقدســـيتها، وعلى تكامل العلم وتطوره وعمقه فيها.

وكان فيها علماء بالمســـتويات العليا في العلم والتحقيق والعمق، وفي الإفادة والإنتاج، ولهم أعظم الأثر في رفع المستوى العلمي في الحوزات، والصعود به في طريق النضوج والتكامل.

كما كانوا على جانب عظيم مـــن الدين والورع والتقوى والمثالية والنفع، وبهذا ملكوا قلوب المؤمنين، وصاروا موضع فخرهم واعتزازهم.

وبذلـــك كله قام للحـــوزات كيانها المســـتقل، وكان لها تحركهـــا المؤثر، وصوتها المدوي، الذي قد يُخنَق وقد ينطلق، تبعاً لاختلاف الظروف والملابسات.

وكان من الصعب بل المتعذر على القوى الفاعلة في الساحة

النفوذ فيها والسيطرة عليها لحرفها عن مسارها، وصرفها عن أهدافها، وما يستتبع ذلك من اكتفائها في طلب العلم الديني وتحديد الرتب بالسطحية والشكليات الرسمية من أجل المراتب الوهمية على حساب الحقيقة، ولو بالالتفاف على الأنظمة وتطويعها بوجه غير مشروع، كما تبتلى بذلك المؤسسات الرسمية عامة، خصوصاً في الفئات المغلوبة على أمرها.

وقد امتازت الحوزات الشيعية بذلك عن المؤسسات الدينية لباقي المذاهب والأديان.كما يظهر ذلك بأدنى مقارنة وملاحظة، ولا يسعنا تفصيل الكلام في ذلك بعد ظهوره للعيان.

نعم،لايخلونظامالحوزاتالمذكورمنسلبياتمهمةمؤلمة..

منها: هدر كثير من القابليات نتيجة الحرية المذكورة وفقد النظام، حيث قد لا يؤدي الكثير واجبهم، ولا يستفرغون قدراتهم في طلب العلم أو في التدريس أو في التبليغ، كسلاً أو ضجراً، من دون قوى تردعهم عن ذلك.

ومنها: ضياع بعض المؤهلين، لعدم تيسر ظهورهم على الساحة، بعد فقد المعايير الدقيقة والحدية لتقييم الأشخاص.

ومنها: حرمان كثير من ذوي الكفاءات من حقوقهم المادية والمعنوية التي يستحقونها بسبب كفاءاتهم. لصعوبة

تمييزهم عن غيرهم بعد فقد طرق التقييم الرسمية.

ومنها: فتح باب الدعاوى غير المسؤولة والتصدي لغير المؤهلين.

غير أن ذلك كله لا يعادل المكاسب العظيمة التي حصلت عليها الحوزة الشريفة على الأمد الطويل في قيامها وانتاجها وثباتها واستقلاليتها وتأثيرها، فإن ضياع بعض الحقيقة أهون من ضياعها بأجمعها، ووقوع بعض الظلم عليها أهون من اكتساح الظلم لها.

على أنه يمكن تجنب كثير من السلبيات أو التخفيف منها بتركيز الجانب الديني في داخل الحوزة وعند المؤمنين الذين يتعاملون معها، لأن الوازع الديني يمنع من كثير من التجاوزات، ويحفظ الحقوق لأهلها، ويحث على أداء الواجب ـ في طلب العلم وبذله وفي التبليغ الديني ـ بالوجه الأكمل.

ومن ثَمَّ كان التركيز على هذا الجانب من أهم الواجبات.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

كما أن ذلك قد جرّ على الحوزات في الأدوار المختلفة المتاعب والمصاعب التي قد تبلغ حدّ المآسي والفجائع، إذ

(١) الذاريات: ٥٥.

ليس من السهل على القوى الفاعلة استقلالية الحوزات، من دون أن تنفذ إليها وتسيطر عليها أو تنسق معها. مع ما عليه الحوزات من تأثير فاعل في المجتمع.

ولا يزال الصراع قائماً ولا ينتظر له نهاية. ومن الله سبحانه وتعالى العون والتسديد، إنه أرحم الراحمين، وولي المؤمنين، وخير الناصرين.

س ٩ ـ سجلت الحوزة العلمية والمرجعية الدينية متابعة جادة لرصد حركة المجتمع ومواجهة التيارات الفكرية الإلحادية والمنحرفة، فهل تعتبرونها موفقة في هذا المجال؟

ج: التوفيق في هذا المجال وغيره من المجالات أمر نسبي يخضع للظروف والملابسات الكثيرة.

وإن من أهم الأسباب في انحسار التيارات الفكرية الإلحادية والمنحرفة، عن الإسلام عامة، والتشيع خاصة قوة الدين والمذهب، وأصالتهما، وعقلانيتهما، مما يوجب تجذرهما في أعماق الإنسان عقلياً وعاطفياً، وقبوله دعوتهما، واستجابته لهما بطبيعته الأولية.

وأقوى شـــاهد على ذلك في هذه العصور أن المسيحية التـــي هي أقـــوى دين بعد الإســـلام، كانت قد غمـــرت الغرب وحكمتـــه قرونها الطويلـــة، وقد نبعت في أوســـاطها الدعوة العلمانية المتحللة باتجاهاتها المختلفة، ونشطت لها وقارعتها حتى انهارت المســـيحية واستســـلمت لها، ولـــم يبق منها إلا أســـماء خالية وهياكل جوفاء تتعايـــش مع العلمانية ولا حول لها ولا قوة أمامها إلى يومنا هذا.

بل صارت المسيحية بقوتها التبشيرية واجهة للاستعمار الغربي العلماني وأداة لتثبيته في الشعوب المستضعفة.

حتى إذا اســـتكملت العلمانيـــة الغربيـــة قوتها توجهت للبـــلاد الإســـلامية ـ وهي فـــي منتهى ضعفها ـ فاكتســـحتها بقوتها العســـكرية الهائلة وبحضارتها ومكتشـــفاتها الجبارة وبشعاراتها البراقة في الحرية والعدالة وحفظ حقوق الإنسان وغيرها، لتقضي على الإسلام في مهده وتقتلعه من مغرسه.

وقد نجحت فعلاً في اكتساح البلاد، والنفوذ فيها عسكرياً وسياســـياً حتى الآن، إلا أن صراعها مع الإسلام باء بالفشل وقام الإســـلام على قدميه كعقيدة أصيلة متجذرة. وقد فرض نفســـه عالمياً حتى أثار قوى الشـــرّ، فهي تحسب له حسابها، وتعد له عدتها.

ولم ينحسر الإسلام في البلاد التي دخلها إلا في بلاد الأندلس، لضعف الإسلام الذي حلّ فيها، لأنه أُموي النزعة والتطبيق، منقطع عن منابعه الصافية بسبب بعد البلاد المذكورة عن عواصم الإسلام، ولقسوة الهجمة التي اكتسحته وشراستها وطول مدتها، ولأنها جاءت في دور وهن المسلمين.

على أنه بلغنا وجود بقية له هناك، حبذا لو يتيسر تقصّيها لمعرفة واقعها وحجمها.

ومثل هذا يجري في التشيع حيث بقي متماسكاً مع عنف الهجمات التي تعرض لها في تاريخه الطويل وقوتها وقسوتها، بل ازداد ـ رغم ذلك كله ـ قوة وصلابة ونشاطاً وتوسعاً، وفرض نفسه على الساحة العالمية.

كل ذلك لقوة دعوته وتناسقها ومنطقيتها، وخلوّها عن المفارقات والتناقضات وسيطرتها على العقل والعاطفة.

وبالنظرة الموضوعية المنصفة يتضح أن بقاء الإسلام إنما هو ببقاء التشيع، لأنه الإسلام الحقيقي المتكامل المتوثب، ذو القلب الحي النابض، والعقل المتفتح الناضج، والفكر الصافي الخالي عن شوائب الأوهام والخرافات وعن المفارقات والسلبيات، والصوت المدوي بالحق والعدل ورفض الباطل والظلم.

ولــذا تحزبــت عليــه قــوى الشــر وأعداء الإســلام، وأعــدت لــه عدتهــا لتقضي علــى الإســلام باســمه، ولو بالاســتعانة ببعــض الفئــات المنتحلة للإســلام التي ســبق لهــا أن اســتعانت بها لإضعاف الإســلام أو القضــاء عليه.

وتبــدوا أهمية الحوزات العلميــة وموفقيتها في إصلاح المجتمع فكرياً من بقاء التشــيع علــى نقائه وصفائه ووحدته وتكاملــه في عصر الغيبة الطويل، حيث يغيب القرار المركزي المعصوم، وحيث يتاح لكل أحد أن يقول ما يريد، إذ من شأن الدين – بعقيدته وســلوكياته – حينئذ أن تتعرض للاجتهادات والتخرصات ولمحــاولات التحريف والتحويــر من الداخل ، وللمواجهــات الفكرية والضغوط من الخارج ، ممّا قد يضطره لتناسي بعض حقائقه، وتجاهلها والتغاضي عنها.

غير أن التشيع بعناية الله ورعاية إمام العصر عجل الله فرجه وبجهود علمائه العاملين بقي متماســكاً هذه المدة الطويلة من دون أن ينحرف عن خطه المعهود. على أنه تعرض لكثير من المشاكل والفتن الداخلية.

فقد تعــرض في العصــور القريبة للخــلاف الحادّ بين الأصوليــن والأخباريــن الذي كاد يقضي علــى وحدته، إلا أن الفتنة لم تلبث أن هدأت، وتراجع أهل الرشــد والتقوى من

الطرفين لتمييع الخــلاف والتركيز على الأُصول المشــتركة وجمع الشمل ورتق الفتق، حتى عادت الوحدة بين أهل الحق، ولم يبق للتعصب وجود يذكر.

ثم تعرض لمشــكلة الشيخية، ثم الكشفية، ثم البابية، ثم البهائية، في فتن متلاحقة لم تلبث أن انحسرت، ورجع الكثير إلى دينهم وعقائدهم الحقة وانضموا تحت لواء التشيع وفي كيانه العام، وانعزل المتشبثون بتلك الأفكار في فئات بعضها خرج عن الإسلام رأساً، وبعضها بقي عليه في قلة قليلة غير معتد بها معزولة عن الكيان الشيعي العام لا تؤثر على مسيرته ونشاطه.

كل ذلك بفضل قوة التشــيع وجهود الحوزات الشريفة وعلمائها العاملين.

وبمقارنــة ســريعة مــع بعــض المذاهــب والأديــان الأخــرى تتضــح ميزة التشــيع في ذلــك. فالوهابيــة فرقة نشــأت في العصور القريبة لتشــق وحدة المســلمين وتفرّق كلمتهــم، وقد كان لهــا الدور المهم فــي إضعافهم وإضعاف الخلافة الإســلامية الســنية، وفي التمهيد لنفــوذ الأجانب في البلاد الإسلامية.

وحتــى أوائل القــرن الماضــي قبيل الحــرب العالمية الأولى كانت ـ بنظر المســلمين عموماً ـ هــي الفرقة المبدعة

الخارجة المفسدة في الأرض المنتهكة للحرمات، حتى إذ استتبت لها الأُمور في أواسط القرن الماضي الهجري خفت صوت التسنن ضدها واعترف بها، ثم نشطت، وإذا هي الآن الأقوى مادياً، والأعلى صوتاً، بل قد تكون اليوم هي الناطق الأظهر باسم التسنن، لما تملكه من قوى مادية هائلة ودعم خارجي غير محدود لا يخفى على المتبصر. ولم يقو التسنن على إنهائها ولا على تحجيمها عقيدياً وفكرياً.

وهذه المسيحية الكاثوليكية قد استحدث فيها المذهب البروتستانتي باسم الإصلاح في القرن السادس عشر الميلادى، وثبت المذهب المذكور واستحكم ونشط، وصار لكنائسه كيان ونشاط قوي ينافس الكنائس الكاثوليكية، ويقف في وجهها، ولم تقو الكاثوليكية على استيعاب الخلاف وتمييعه، ولا على تحجيمه، بحيث ينحصر في فئة قليلة غير معتد بها تعتبر شاذة عن الكيان العام، نظير الفئات المشار إليها آنفاً في التشيع.

هذا بالإضافة إلى الفتن والانشقاقات الداخلية.

وأما بالإضافة إلى الأفكار الوافدة الخارجة عن الدين، فقد تعرض التشيع والإسلام عموماً للهجمة التبشيرية المدعومة من المستعمر الغربي الكافر، وكان نصيبها الفشل الذريع، كما اعترفوا بذلك حتى قالوا: إن محاولة جعل المسلم مسيحياً غير

عملية، ولكن علينا أن نسلخ المسلم عن الإسلام، بدفعه للتحلل والفساد والاستهوان بالدين، فكفانا ذلك مكسباً ونجاحاً.

ونشطت الدعوة لذلك في أوائل اكتساح الغرب المسيحي لبلاد الإسلام ونفوذه فيها.

وليس ذلك ـ لو تهيأ لهم ـ في الحقيقة مكسباً للمسيحية، بل هو انهزام لها، وانتصار لقوى الاستعمار التي أرادت أن تستغلها لتحقيق مصالحها وأطماعها في بلاد الإسلام.

فليعرف المسلمون عظمة دينهم وحقه وواقعيته. وليشكروا الله سبحانه على نعمة هدايته لهم بطاعته واتباع تعاليمه والبخوع لها.

وعلى كل حال فقد كان للحوزات الشريفة والمرجعية الدينية أعظم الأثر في فشل الحملة التبشيرية المذكورة بتوفيق الله تعالى وعنايته ورعاية إمام العصر ﷺ وبركات وجوده الشريف.

كما تعرَّض التشيع في العصر القريب ـ كغيره من المذاهب والأديان السماوية ـ للمدّ الإلحادي الذي أفرزته الحضارة المعاصرة، فغمر العالم ونشط، ولاسيما بعد أن أصبح مدعوماً من إحدى القوتين العظميين اللتين انفردتا بالسيطرة على العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وسرت

موجته في البلاد الشيعية وسائر البلاد الإسلامية وقد تصدت الحــوزات العلمية لــه، وكان لها وللمراجــع العظام (قدس الله أســرارهم) الدور المشــرف في الوقوف بوجهــه والحدّ منه بتصميم وإصرار، حتى انكفأ الإلحــاد منهزماً هزيمة منكرة، وتوثب المؤمنون معتزين بدينهم ذائدين عنه.

وكان الفــارق واضحاً بيــن فاعلية الحــوزات العلمية والمرجعية الشــيعية وفاعلية غيرها من المؤسســات الدينية الأخرى لبقية المذاهب الإسلامية وبقية الأديان.

وقــد أدرك ذلك المعنيون بالأمــور، فاضطروا ـ حينما تهددت مصالحهم ـ لفســح المجال للحوزات الشيعية، لتتمتع بقســط من الحرية وتزاول نشــاطها في ذلك العهد، حتى أن الوضع الطائفي في أفغانستان والسلطة الحاكمة هناك والحكم الجــاري عليه كانا يمارســان الضغط الشــديد على شــيعة أهل البيــت عليهم السلام عموماً، وعلى رجال الديــن منهم خصوصاً.

فلما بدأت الشيوعية تتغلغل في أفغانستان وتنشط فيها نتيجة سوء الأوضاع وتردِّيها اضطرت الحكومة الأفغانية في حينه للتخفيف من حدة الضغط على الشيعة وفسحوا المجال لرجال الدين والحوزات الشــيعية في أفغانســتان ليمارسوا نشــاطهم الدينــي والتبليغي من أجل أن يقفــوا في وجه المدّ

الشـــيوعي والإلحادى، لأنهم يتميزون بفكـــر وثقافة تؤهلهم لذلك لا يملكهما غيرهم من الهيآت الدينية المتنفذة في البلاد.

وها هو التشـــيع اليوم بحوزاته وعلمائه وفكره وثقافته ثابت القدمين تحســـب له قوى الشـــر حسابها وتحاول تفتيته وحرفه عن مساره السليم في الفكر والعقيدة، لتضعفه وتشغله بنفسه عن الوقوف في طريقها، وتتبع عوراتها، والإنكار عليها والحدّ من نشاطها.

ونســـأل الله ســـبحانه وتعالى أن يعضده ويثبته بالقول الثابت، ويســـدد الحوزات الدينية للسير في الطريق المستقيم، ويوفـــق المؤمنين للالتفـــاف حولها من أجـــل الوقوف بوجه الانحراف وصـــدّه، والحفـــاظ على ثوابت التشـــيع وحدوده وتعاليمـــه، تصديقـــاً لقوله ﷺ: «لا تزال طائفـــة من أمتي على الحق ظاهريـــن لا يضرهم خذلان من خذلهم»[1]. حيث لا يراد بظهورهم إلا ظهور حجتهم وســـماع دعوتهـــم ﴿... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ...﴾[2].

ونعـــوذ بالله تعالـــى من مضلات الفتـــن والنكوص على

(١) سـنن الترمـذي: ٣ / ٣٤٢. وبألفـاظ متقاربة في صحيح البخـاري: ٤ / ١٧٨. صحيح مسلم: ٦ / ٥٣ .

(٢) الأنفال: ٤٢ .

الأعقاب وشر المنقلب، ومن خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وهو

أرحم الراحمين.

س ١٠ ـ للمرجعية تاريخ عريق في مقارعة الاستعمار الأجنبي الدخيل، فهل يمكننا أن نتعرف على نماذج تفصيلية من تلك المواقف؟

ج: مقارعة المرجعية الشيعية للاستعمار الأجنبي امتداد لموقف مبدئي عام للتشيع أصرّ عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام في سلوكهم وتعاليمهم يقضي بتناسي الخلاف بين المسلمين عند تعرّض الإسلام للخطر، والتوجه للعدو المشترك، حفظاً لكيان الإسلام العام، ودفاعاً عن بيضته، لأن الإسلام قبل الإيمان، ولا يعرف الإيمان ولا يصل له الإنسان إلا بعد معرفة الإسلام والوصول إليه.

وبدأ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حينما جانب الظالمين واعتزلهم ورفض الدخول في أمرهم ولم يبايع، ولما تعرض الإسلام للخطر اضطر للبيعة حفاظاً عليه.

قال عليه السلام: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت

إن لم أنصر الإســـلام وأهله أن أرى فيـــه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فـــوت ولايتكم، التي هي متاع أيام قلائل، ويزول منها ما كان كما يزول الســـراب أو كما يتقشع الســـحاب، فنهضت في تلك الأحـــداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[1].

أما الأئمة عليهم السلام من بعده فهم في الوقت الذي منعوا فيه من الجهاد مع سلاطين الجور، لعدم حفظهم الميزان الشرعي في الجهـــاد، ولأن في الجهاد معهم دعماً لهم، أمروا بالقتال دفاعاً عن بيضة الإسلام.

ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «يرابط ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه، ليس للسلطان، لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد صلى الله عليه وآله»[2].

وفي حديـــث الإمام الصادق عليه السلام قال: «على المســـلم أن يمنع نفســـه ويقاتل عن حكم الله وحكم رسوله، وأما أن يقاتل الكفار عن حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك»[3].

وقد جرى مراجعنا العظـــام وعلماؤنا الأعلام على ذلك

(١) نهج البلاغة: ٥٤٧، من كتابه عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاّه إمارتها.
(٢) وسائل الشيعة: ١١، باب ٦ من أبواب جهاد العدو حديث: ٢ .
(٣) المصدر السابق: حديث ٣ .

قياماً بالواجب وتبعاً لأئمتنا عليهم السلام وجرياً على تعاليمهم.

وقد كلّفهم القيـــام بهذا الواجب شـــططاً، فهم في الوقت الذي يتجنبـــون الحكومات الظالمة ويشـــجبونها، وفي الوقت الذي تقف منهم تلك الحكومات ومن المؤمنين الذين يرجعون إليهم ويسترشـــدون بإرشادهم أشـــد المواقف ظلماً وعدواناً وتجاهـــلاً وامتهانـــاً، تراهم مضطرين بحكـــم الواجب الملقى علـــى عواتقهم إلـــى الوقوف مع تلك الحكومـــات ودعمها في جهـــاد العدو الكافـــر، فإن نجحوا لم يُشـــكَروا، وإن فشـــلوا ـ ولو بسبب تصرف تلك الحكومات وسوء تدبيرها ـ تحملوا تبعة الفشـــل، وربما انتصر العدو فشـــفى منهم غيظه، وانتقم لموقفهم منه.

ولاعزاء لهم إلا رضا الله تعالى، والخروج عن تكليفه والحفاظ على دينه القويم، وصراطه المستقيم، وكفى به شاهداً ونصيراً.

وإن تصـــدي علمائنا الأعلام للأجنبي ذو وجوه وألوان،

يجمعها القيام بالواجب في مجانبة الكافر، وعدم الركون إليه، والوقوف بوجهه ومنعه من الإضرار بالإسلام حسبما تتيحه الظروف وتسعه الطاقة..

الأول : التصدي الفكري

وقد جهد علماؤنا الأعلام ومراجعنا العظام (رضوان الله تعالى عليهم) بأنفسهم أو بدفع العناصر الحوزوية في إيضاح الحقائق الدينية، وردّ الشبهات الكافرة، سواءً ما كان نابعاً من بلاد الإسلام، أم ما كان وارداً من الأجنبي الكافر.

ويتجلى ذلك في هذه العصور بموقفهم من الحملة التبشيرية الكافرة في مطلع القرن السابق، وكان المجلّي في ذلك العلم المجاهد الحجة آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره[1] صاحب المؤلفات القيمة.

وكذلك في وقوفهم أواخر القرن المذكور من المدّ الشيوعي الإلحادى، كما سبق بعض الحديث عن ذلك في

(١) الشيخ محمد جواد الشيخ حسن البلاغي (١٢٨٠ ـ ١٣٥٢ هـ) مجتهد من مجتهدي حوزة النجف الأشرف العلمية الدينية، ضليع بالعقائد، ملم ببعض اللغات الاجنبية . . . شاعر.

من مؤلفاته: «آلاء الرحمن في تفسير القرآن»، «الهدى الى دين المصطفى»، «الرحلة المدرسية». لمزيد من التفاصيل انظر: الكنى والألقاب: ٢ / ٩٤ . شعراء الغري: ٣ / ٤٤٣ أعيان الشيعة: ١٧ / ٦٨ وغيرها.

جواب السؤال السابق.

الثاني: التصدي العسكري

وقد ظهر في العصور القريبة حين ضعفت الحكومات الإسلامية ونشط الكافر لغزو بلاد الإسلام، فكان موقف المسلمين حكومات وشعوباً موقف المدافع، وقد كان للعلماء الدور المهم في ذلك في مناسبات عديدة..

١ ـ في أواسط القرن الثالث عشر الهجري حين هاجم الروس بلاد إيران، فخرج علماء إيران ـ ولعل أظهرهم آنذاك الشيخ أحمد النراقي قدس سره[١] صاحب المستند ـ مع المجاهدين لصدّهم، وقد دعمهم المرحوم السيد محمد المجاهد بن السيد صاحب الرياض(قدس سرهما)[٢]، فشد الرحال من

(١) الشيخ أحمد الشيخ محمد مهدي النراقي (١١٨٥ ـ ١٢٤٥ هـ) من مراجع التقليد فى إيران، أكمل دراسته في الحوزة العليمة في النجف الأشرف ثم هاجر الى ايران فأصبح مرجع التقليد فيها.
من مؤلفاته: «مستند الشيعة في أحكام الشريعة»، «مناهج الوصول في علم الأصول»، «ديوان شعر» بالفارسية .
لمزيد من التفاصيل اُنظر: الأعلام: ١ / ٢٤٥. ريحانة الأدب: ٦/ ١٦٠. الفوائد الرجالية: ١ / ٦٧ وغيرها.

(٢) السيد محمد السيد علي الطباطبائي (حدود سنة ١١٨٠ ـ ١٢٤٢ هـ) من مجتهدي الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، لقب بالمجاهد بعد خروجه لمحاربة الجيش الروسي المعتدي، وحين فشل الجيش القاجاري في تحقق الانتصار لخيانة في قواده مرض السيد المجاهد في

كربلاء بمن معه والتحق بهم، فأبلوا بلاء حسناً وكان النصر حليفهم لولا الخيانات وسوء التدبير، مما أوجب انكسارهم واحتلال الروس بلاد أذربايجان وغيرها في واقعة مشهورة.

وتجرعوا غصص الانكسار، وردود فعل الأوباش والجهلة.

٢ ـ وفي أوائل العِقد الثالث من القرن الرابع عشر حين هاجم الروس بلاد إيران أيضاً، واحتلوا بعض المواضع منها، وهاجمت إيطاليا طرابلس الغرب، أفتى علماؤنا - ومنهم المرجع الشهير السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره - بوجوب توحيد الكلمة لدفع العدو عن بلاد الإسلام.

٣ - وفي إيران تهيأ للجهاد المرحوم الآخوند آية الله الشيخ محمد كاظم الخراساني قدس سره[1] مع جماعة من علماء

قزوين. وتوفي إثر ذلك ونقل جثمانه الى كربلاء المقدسة بعد ذلك ليدفن فيها.
من تآليفه: «المناهل في فقه آل ياسين»، «مفاتيح الأصول»، وغيرهما.
لمزيد من التفاصيل انظر: روضات الجنات ٧ / ١٤٥ . والموسوعة الفقهية الميسرة: ١/ ٥٨٩ وغيرهما.

(١) الشيخ محمد كاظم ابن الملا حسين الآخوند الخراساني (١٢٥٥ ـ ١٣٢٩ هـ) تولى المرجعية الدينية في عصره في النجف الاشرف، أصولي ضليع.
من مؤلفاته: «كفاية الأصول»، «حاشية الأسفار»، «حاشية فرائد الأصول» وغيرها كثير.
لمزيد من التفاصيل انظر: معجم المؤلفين العراقيين ٣ / ٢٢٧. ماضي النجف وحاضرها: ١ / ٦٣٦. أعيان الشيعة: ٤٣ / ٩٢ وغيرها. وراجع: كتاب الآخوند الخراساني للأستاذ

عصره، وأعد عدة السفر. لكنه توفي فجأة بوجه مريب، فانحل ما أبرمه، ولله أمر هو بالغه.

٤ ـ وحينما غزت الجيوش البريطانية العراق في حربها مع العثمانيين ـ الذين رأى الشيعة وعلماؤهم منهم الأمرّين ظلماً وعسفاً وتجاهلاً واستهواناً ـ، حتّى إنهم لم يعترفوا بالمذهب الجعفري، وكانوا يفرضون عليهم في القضاء وغيره فقه المذهب الحنفي الذي تبنته دولتهم وفرضته بقواتها، وكان أهل العلم من الشيعة لا يعفون من الخدمة العسكرية – مهما بلغوا من العلم والمعرفة – حتّى يؤدوا الامتحان على طبق مناهجهم المبنية على الفقه الحنفي.

ومع كل ذلك تناسى علماؤنا الأعلام (رفع الله درجاتهم) ذلك كله، واندفعوا للقيام بواجبهم في حفظ بيضة الإسلام، والدفاع عنه، فخرجوا للجهاد في جبهتين:

أ ـ جبهة الشعيبة.

ب ـ وجبهة الكوت.

وخرج منهم السيد محمد سعيد الحبوبي[1]،

عبد الرحيم محمد علي. النجف.

(١) السيد محمد سعيد السيد محمود الحبوبي (١٢٦٦ ـ ١٣٣٣ هـ) مجتهد كبير من مجتهدي النجف الأشرف، وشاعر بارع من أساطين الشعر العربي المشهورين، ومن ابطال الجهاد

مستصحباً معه سيدنا الجد السيد الحكيم[1] ـ في شبابه ـ، وشيخ الشريعة الأصفهاني[2]، والسيد علي الداماد[3]، والسيد أبو القاسم الكاشاني[4]، والسيد مهدي

والنضال، له كتابات في الفقه والأصول، وديوان شعر.
لمزيد من التفاصيل اُنظر: أعيان الشيعة: ٤٥ / ١٥٩. الأعلام:٧ / ١٤. نقباء البشر: ٢ / ٨١٤ وغيرها.

(١) اُنظر ص ١٢١ هامش رقم ١ .

(٢) الشيخ فتح الله الشيخ محمد جواد الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة (١٢٦٦ ـ ١٣٣٩ هـ) من كبار مجتهدي حوزة النجف الأشرف، برع في الأصول والعلوم العقلية والرياضيات، مجاهد، نهض فتولى الزعامة والقيادة ضد الانگليز بعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي، ولما دخل الانگليز النجف الأشرف تفرق الناس عنه ولبث في بيته الى أن توفي.
من مؤلفاته: «قاعدة لا ضرر»، «قاعدة الواحد البسيط لا يصدر منه إلا واحد»، «القول الصراح في أحوال الصحاح»، وغيرها.
لمزيد من التفاصيل اُنظر: أعيان الشيعة: ٤٢ / ٢٥٧. معارف الرجال: ٢ / ١٥٤. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٢ / ٧٦٧ وغيرها.

(٣) هو السيد علي السيد محمد الداماد (١٢٧٥ ـ ١٣٣٦ هـ) من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الاشرف، مجاهد أبلى في ساحات الجهاد بلاءً حسناً، وعاد بعد النكسة بألم شديد لمدينة النجف الأشرف، وحين حلّقت طائرة بريطانية للاستكشاف في سماء النجف الاشرف وسمع صوتها حزن وشهق شهقة أسىً فمات .
من مؤلفاته: «تقريرات الأصول»، «مصباح الظلام في شرائع الاسلام».
لمزيد من التفاصيل انظر: نقباء البشر: ٤ / ١٥٢٥. أعيان الشيعة: ٨ / ٣١١ . معجم المؤلفين: ٧ / ٢١٨ وغيرها .

(٤) السيد أبو القاسم السيد مصطفى الكاشاني (ماقبل ١٣٠٠ ـ ١٣٨١ هـ) من كبار رجال الدين المجاهدين في العراق انتخبته جماهير بغداد والكاظمية مع عدد من المجاهدين الآخرين لمفاوضة السلطات المحتلة في المسائل السياسية المهمة. اشترك مع العلماء

الحيدري[1]، والشيخ مهدي الخالصي[2]... وجماعة كثيرين (قدس الله أرواحهم الزكية)[3].

الأعلام الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد هبة الدين الشهرستاني وغيرهما في قيادة العمليات الجهادية في جبهة الحلة وطويريج وكان لبطولاته وخطبه ومواقفه دور مشهود في حث الناس على القتال، والتصدي للغزاة في هذه الجبهة. تتبعه الانگليز بعد الاحتلال فهرب الى ايران وفيها توفي.

له تقريرات في الفقه واصول الفقه.

لمزيد من التفاصيل اُنظر: نقباء البشر: ١ / ٧٥. والبطولة في ثورة العشرين: ١٤١ / ٢١٨ وغيرها.

(١) السيد مهدي السيد أحمد الحيدري المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ من مراجع التقليد المجاهدين في مدينة الكاظمية المقدسة. خرج مع العلماء الأعلام صحبة أولاده الثلاثة لتحريض أهالي بغداد والمدن الأخرى والقبائل على الثورة وقيادتها للجهاد، شهد معارك القرنة والشعيبة والكوت وهو ابن الثمانين.

من مؤلفاته: «تعليقة على فرائد الأصول»، كتاب في الرجال، كتاب في الطهارة.

لمزيد من التفاصيل اُنظر: مستدركات أعيان الشيعة: ٢ / ٣٣٣. والإمام الثائر مهدي الحيدري للسيد أحمد الحسيني، النجف ١٣٨٦ هـ.

(٢) الشيخ مهدي الشيخ محمد حسين الخالصي (١٢٧٦ ـ ١٣٤٣ هـ) من مراجع التقليد المجاهدين في الكاظمية المقدسة، حارب الانگليز مع العلماء ثم عاد ليفضح السياسين فنفي الى الحجاز ومنها الى ايران وتوفي غريباً.

من مؤلفاته: «الشريعة السمحاء»، «القواعد الفقهية»، «كتاب في الرجال».

لمزيد من التفاصيل اُنظر: أحسن الوديعة: ٢ / ١٢٢. وأعيان الشيعة: ٤٨/ ١٦٢. ريحانة الأدب: ٢ / ١١٦ وغيرها.

(٣) أمثال الشيخ عبد الكريم الجزائري، والجد المرحوم السيد محمد سعيد الحكيم، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ رحوم الظالمي، والسيد عبد الرزاق الحلو، والشيخ باقر حيدر، والشيخ جعفر الشيخ راضي، وغيرهم.

وقد أرسل العلمان المعظمان السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي[1] والشيخ محمد تقي الشيرازي(قدس سرهما)[2] ولديهما السيد محمد[3] والشيخ محمد رضا[4] دعماً لهم.

(١) السيد محمد كاظم السيد عبد العظيم اليزدي (١٢٤٧ ـ ١٣٣٧ هـ) تولى زعامة الحوزة العلمية في النجف الأشرف تضلع في الفقه والاصول.
من مؤلفاته: «العروة الوثقى»، «اجتماع الأمر والنهي»، «الاستصحاب» وغيرها.
لمزيد من التفاصيل أُنظر: أعيان الشيعة: ٤٦ / ٢٠٦. ريحانة الأدب: ٦/ ٣٩١. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٣ / ١٣٥٨ وغيرها.

(٢) الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي الشيرازي (١٢٧٠ ـ ١٣٣٨ هـ) من مراجع التقليد المعروفين في حوزتي كربلاء المقدسة والنجف الاشرف العلمية الدينية، أديب، شاعر، مجاهد، صلب، قاد الثورة العراقية ضد الانگليز وأوقد شرارتها الأولى.
من مؤلفاته: «شرح مكاسب الشيخ الانصاري»، «العقائد الفاخرة في مدح العقيدة الطاهرة»، «رسالة في أحكام الخلل» وغيرها .
لمزيد من التفاصيل انظر: نقباء البشر: ١ / ٢٦١. الاعلام: ٦ / ٢٨٨. أعيان الشيعة: ٤٤ / ١٢١ وغيرها.

(٣) السيد محمد السيد محمد كاظم اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ من أساتذة الفقه والاصول في حوزة النجف الأشرف العلمية الدينية. مجاهد ضد الانگليز.
من مؤلفاته: «كتاب الحج»، «الكشكول»، «رسالة في فضل الكتب واقتنائها» .
لمزيد من التفاصيل أُنظر: ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٦٠. والذريعة:١٦ / ٢٧٢. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٣ / ١٣٥٩ وغيرها.

(٤) أكبر أنجال المفجر شرارة الثورة العراقية. كان له دور مشهود في حث الناس على الجهاد ضد الإنگليز . دعا الى اقامة احتفال ضخم في صحني الامام الحسين والعباس عليهما السلام في كربلاء المقدسة شارك فيه الالوف من المتظاهرين المنددين بالاحتلال وحث فيه الناس على

وقــد عرضت الحكومــة العثمانية علــى بعضهم ـ فيما بلغنا ـ الأموال الطائلة ليســتعينوا بها في الحرب فأبوا قبولها أنفــة وعزة وبعداً عن شــائبة تخــرج جهادهم عن الإخلاص لله تعالى في أداء الواجب، حتى ذكروا أن الســيد الحبوبي قدس سره كان يكتفــي بــأكل التمــر طعامــاً، والجلوس علــى الأرض.

ووقعت الحــرب وظهرت الخيانات مــن الجيش التركي ومن كثير من ذوي النفوذ مما أدَّى إلى فشل الحملة في جبهة الشــعيبة، وتراجــع العلماء الذين مضوا لهــا بمن بقي معهم، وهم مطمئنون لأداء واجبهم، حتى قال السيد الحبوبي قدس سره[1] في الناصرية بعد رجوعه: (الحمد لله الذي عرفني تكليفي).

إلا أن الألم يحز في نفوسهم حين يرون انتصار الكفر على الإسلام، ودخول العدو في بلاد المسلمين، يعيثون فيها فساداً، حتى قضى الحزن علــى بعضهم، كالســيد الحبوبى قدس سره حيث مــرض، ثم توفى في الناصرية، وأُرجع إلى النجف الأشــرف جنازة محمولة.

المقاومة وارسـل الكتب والرسائل الى شـتى مناطق العراق يدعو فيها الى الثورة والجهاد. جاهد ضد الانگليز في جبهة القرنة . ألقي عليه القبض من قبل المحتلين في كربلاء ، ونفي الى الهند ، وكان لاعتقاله وابعاده اثر كبير في تأجيج نار الثورة ضد المحتلين في شتى المناطق. لمزيدمن التفاصيل اُنظر:البطولة في ثورة العشرين: ١٥٢ وغيره.

(١) اُنظر: ص ١٥٤ هامش ١ .

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما جبهة الكوت فقد انتصرت إلا أن النصر لم يدم طويلاً. فقد استرجعت بريطانيا ما خسرته فيها بعد أن اضطربت أُمور العثمانيين في العراق، وتم بعد ذلك لبريطانيا احتلال العراق وانسحاب العثمانيين منه.

٥ ـ ولما بسطت بريطانيا نفوذها على العراق واحتلته لم يمكث علماؤنا (رضوان الله تعالى عليهم) طويلاً حتى طالبوها بالوفاء بوعودها بتحرير العراق واستقلاله، ولما تجاهلت ذلك فجّروا ضدها الثورة المعروفة بثورة العشرين[1]، بقيادة

(١) ثورة العشرين: من أهم الثورات الوطنية في تاريخ العراق الحديث أشعل أُوارها علماء الدين الاجلاء عام ١٩٢٠م ضد الاحتلال الانجليزي للعراق وقادوها باذلين في ذلك الغالي والرخيص دفاعاً عن الاسلام والمسلمين.
وقد توزع المجاهدون بقيادة العلماء الأعلام على جبهات القتال كلها فكبدوا المعتدين الغزاة الكثير الكثير.
لقد خسر الانگليز ـ كما يقول السياسيون البريطانيون ـ وعلى مدى خمسة شهور ما بين الأول من تموز حتى أواخر تشرين الثاني ١٩٢٠م (قتيلاً) في كل (أربع ساعات) و(١٦) مفقوداً في (كل يوم) عدا الجرحى، وأنفقوا (٢٦٦) ألف پاون استرليني في كل (٢٤) ساعة كما يقول فليپ ايرلند في كتابه (العراق ـ دراسة في تطوره السياسي: ٢٦٦).
أما من ناحية السياسة فيقول ناجي شوكت: « في اعتقادنا أنه لولا هذه الثورة العراقية الكبرى لما استطاع العراق أن يحصل حتى ولا على شبه استقلال، ولا كان من الممكن أن يدخل عضواً في عصبة الأمم، الى جانب الدول العظمى التي كانت تتمتع بهذه العضوية، فالعراق الذي أصبح أول دولة عربية مستقلة واحتل مقامه بين دول العالم. في الوقت

المرجع المعظم الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره[1] الذي لم يلبث طويلاً حتى توفى، فخلفه في قيادتها المرحوم شيخ الشريعة الأصفهاني قدس سره[2].

وبعد الجهد والاجتهاد والثبات على المبادئ التي لم يثبت عليها إلا القليل تلاشت الثورة، بعد أن أدوا ما عليهم، وتحملوا تبعاته، حيث حوصروا، وأُخيفوا، واحتجزوا، وشرِّدوا عن أوطانهم، وأُوذوا في سبيل الله تعالى كثيراً. كل ذلك وقوفاً عند المبادئ وأداء الواجب الذي يرونه.

٦ ـ ولم يكتفوا بذلك، إذ ما أن شكلت الحكومة (الوطنية) في العراق في ظل الهيمنة البريطانية، ونودي بفيصل الأول ملكاً، حتى طالب علماؤنا بشروط تحفظ للإسلام والمسلمين بقية من كرامتهم، ولا تعجب بريطانيا والسائرين في ركابها،

الذي لم يكن هناك أي بلد عربي يحلم بالاستقلال إنما هو مدين لثورته الكبرى هذه» (الذكريات: ٥٦).

ويقول مؤرخ معاصر إن هؤلاء الفقهاء وزعماء الفرات الأوسط وقادة الحركة الوطنية في بغداد هم مؤسسوا العراق الحديث وليست الأسماء السياسية المتداولة.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة، المستدركات، القسم الثاني: ٣٣٣ ـ ٣٣٦ حيث روى تفاصيل المعارك، وبيَّن أدوار العلماء المجاهدين قدس سرهم فيها عن شهود عيان. ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي وغيرها كثير.

(١) أُنظر ص ١٥٧ هامش ١.

(٢) أُنظر ص ١٥٤ هامش ٣.

وأصروا على تلك الشروط بعد أن رفضت وخولفت، وحرّموا الاشـــتراك في الاســـتفتاء الشـــعبي، وثبتوا على مواقفهم في تفاصيل يطول ذكرها.

وقد وقفت الحكومة ـ في وقته ـ منهم موقفاً قاسياً، فنفت المرحوم الشـــيخ مهـــدي الخالصي قدس سره[1] من علمـــاء الكاظمية وشرّدته عن وطنه.

وتضامن معه علماء النجف الأشرف، فقد هدد المرجعان الشهيران الشـــيخ ميرزا محمد حســـين النائيني[2] والسيد أبو الحسن الأصفهاني(قدس سرهما)[3] بالسفر إن لم يرجع لوطنه.

فلم تســـتجب الحكومة لهما ولم ترجعه، بل ســـفّرتهما مـــع جماعة كبيرة من العلماء وأهل العلم إلى إيران، وألحقتهم بـــه في جـــوّ متوتر، ليخلـــو لها الجـــوّ وتتجنـــب ضغوطهم، وليضعف الوجود الديني في العراق، وتفرغ الســـاحة للنشاط

(١) أُنظر ص ١٥٦ هامش ٢.

(٢) أُنظر ص ١٢٢ هامش ١.

(٣) السيد أبو الحسن السيد محمد الأصفهاني (١٢٨٤ ـ ١٣٦٥ هـ) تولى المرجعية الدينية في عصره، دعم المؤسسات المهتمة بالتثقيف الديني ورعاها.
من مؤلفاته: «صراط النجاة»، «حاشية العروة الوثقى»، «وسيلة النجاة».
لمزيد من التفاصيل أُنظر: نقباء البشر: ١ / ٤١. معارف الرجال: ١ / ٤٦. أعيان الشيعة: ٥٢ / ٤٧ وغيرها.

التبشـــيري وللدعوة اللادينية، كي ينســـلخ الناس عن دينهم، ويبقـــى العدوّ الاســـتعمار الجاثم في مأمن منـــه، في مخطط محبوك يعّم إيران والعراق وجميع بلاد الإســـلام، لتجريدهما من بقيـــة الدين، الذي يقـــضّ مضاجع الكافريـــن والمنافقين الســـائرين في ركابهـــم، ويقف حجر عثرة فـــي طريقهم، كما أدرك ذلـــك بعـــض علمائنـــا الأعلام(قـــدس الله أرواحهـــم).

فقـــد حدثني العلامة الســـيد أحمد جمال الهاشـــمي عن أبيـــه آية الله المرجع الديني الســـيد جمـــال قدس سره[1]، وقد كان من أعيـــان تلامـــذة الميرزا النائينـــي قدس سره[2] وممن ســـافر معه من حاشـــيته حينئذ، قال: لما ســـافر العلماء إلى إيران اســـتقبلهم الشعب الإيراني وعلماؤه استقبالاً حاراً حاشداً، واحتفّوا بهم، وعظّموهم، ورفعوا شأنهم.

فلمـــا رأى المرحوم الميرزا النائيني قدس سره اهتمام الشـــعب

(١) السيد جمال السيد حسين الگلپايگاني (١٢٩٥ ـ ١٣٧٧ هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف ومن أساتذة الفقه والأصول فيها، ولد في قرية (سعيد آباد)، وتوفي في النجف الأشرف.
من تآليفه: «الإجتهاد والتقليد»، «جواز البقاء على تقليد الميت»، «ذخيرة العباد ليوم المعاد»، وغيرها.
لمزيد من التفاصيل اُنظر: أعيان الشيعة: ١٦ / ٢٥٢. معارف الرجال: ١/ ٢٨٥. ونقباء البشر: ١ / ٣٠٩ وغيرها.
(٢) اُنظر ص ١٢٢ هامش ١.

الإيراني بهم والتفافه حولهم قال للعلماء: إنا نستطيع بما رأيناه من اندفاع الشعب لنا أن نصلح الأوضاع في إيران.

فقال لـه المرحوم المرجـع آية الله الشـيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره[1]: إنا نسـتقبل جبـالاً من بلاء، وليس لنا إلا الهدوء والاستسلام والحفاظ على البقية الباقية حتى ينجلي هذا البلاء المقبل، وننظر ما يكون.

وكأنـه قدس سره كان ينظـر بنـور الله تعالـى، فقـد صدقت نبوءتـه، حيـث انتهى الأمـر بحكم رضـا بهلـوي لإيران، فأحـرق الأخضـر واليابـس، وحـاول اقتـلاع الديـن من جذوره في محنة مأسـاوية وقعت على العلمـاء والمؤمنين. ولله أمر هو بالغه.

وبنحو ذلك نظر من بقي في النجف الأشـرف من رجال الدين وأهل العلم العاملين، فوجدوا الفراغ هائلاً بسـفر العلماء وأدركوا خطورة الأمر وعواقبه الوخيمة، ورأوا ضرورة رجوع

(١) الشيخ عبد الكريم ابن المولى محمد جعفر الحائري (١٢٧٦ ـ ١٣٥٥ هـ) مؤسس الحوزة العلمية الحالية في قم. أشرف على تعليم طلاب الحوزة العلمية وأغدق عليهم بسخاء ووضع الامتحان السنوي لقياس مستوياتهم، أدار أمور المرجعية بحكمة وكياسة فى زمن متعب. من مؤلفاته: «درر الأصول» و«كتاب الصلاة» و«التقريرات».
لمزيد من التفاصيل أُنظر: أعيان الشيعة: ٨ / ٤٢ . نقباء البشر: ٣/ ١١٥٨ . الموسوعة الفقهية الميسرة: ١/ ٥٧٢ .

العلمـــاء إلى مراكزهم، ليجددوا للحوزة نشـــاطها، ويشـــيدوا كيانها، ويحافظوا علـــى البقية الباقية من الدين بعد أن عجزوا عن إصلاح جهاز الحكم.

فجـــدّوا في العمل لرجوعهم. وممن تبنى ذلك واندفع في العمل له المرحوم الحجة مثال الورع والتقوى آية الله الشـــيخ باقر القاموســـي قدس سره[1] ـ كما حدثني بذلك مفصلاً ولده الحجة المقدس الشيخ صادق القاموسي[2] (دامت بركاته) ـ وكان كثير العلائق مسموع الكلمة مبجلاً معظماً داخل الحوزة وخارجها.

وقد خالفه بعض ذوي الشأن، فكان يرى أن في رجوعهم من دون استجابة لمطالبهم وهناً عليهم.

غير أنه قدس سره أصر على رجوعهم بعد أن استوضح ضرورة التشبث بالميسور من الوظيفة، والتغاضي عن سلبياته، فعمل لذلك جادّاً بما له من العلاقة مع الوسائط من ذوي النفوذ.

(١) الشيخ باقر القاموسي (ت ١٣٥٢ هـ) من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وأساتذة التدريس فيها، كان زاهداً ورعاً أبياً عابداً حسن الخلق.
لمزيد من التفاصيل انظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٣/ ٩٦٩ وغيره.

(٢) من العلماء الأفاضل عرف بالورع والتقوى وحسن الخلق. شاعر مبدع. له تعليقات وحواشي على الكتب الفقهية والاصولية، وديوان شعر.
لمزيد من التفاصيل أُنظر: ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ٣٨٩. معارف الرجال: ٢ / ٢٠٠ . معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال ألف عام: ٣ / ٩٦٨ وغيرها .

وحتـــى تمّ له ولمن معه ما أرادوا، ورجع العلماء الأعلام ومـــن معهم إلى العراق، وأشـــغلوا مراكزهـــم وانصرفوا إلى الاهتمام الحوزوي، بعيداً عن الاحتكاك بالمسؤولين.

ولعلهم كانوا مســـدَّدين في ذلك حيث، صارت حوزات العراق بعد ذلك مفزعاً لمن فرّ من قسوة الحكم البهلوي، الذي صبّ نقمته على العلماء وأهل العلم في مواقف مأساوية فجيعة يطول شرحها.

فكانت تلك الحوزات ملجأ لمن ســـلم منهم وتيســـر له الخـــروج من إيران. وكانـــت مفروضة نســـبياً على الحكومة الإيرانية تحسب لها حسابها.

كما استوعبت حوزة قم المقدســـة الكثير أيضاً بزعامة المرحوم آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي قدس سره[1] الذي عالج الأُمور بصبر وحكمة عجيبين.

وقويت حوزات العراق وقم، وتجمع فيها الكثير من أهل العلم ذوي المســـتويات العالية، حتـــى إذا انفرجت الأُمور في إيران، وتحسنت الأوضاع في العراق، كانت تلك الحوزات كنز الدين الثمين، وكهفه المنيع، ودرعه الحصينة ولسانه المبين.

(١) أُنظر: ص ١٦٢ هامش١ .

فقامت بالدعـــوة لله تعالـــى، وترويج شـــرعه المقدس، وأدت الخدمات الجليلة للإســـلام والمؤمنيـــن بقيادة علمائها الأعلام (قدس الله أرواحهم)، وجزاهم خير جزاء المحسنين و ﴿... لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ...﴾[1]، وهو ولي المؤمنين، وخير الناصرين ﴿... وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾[2].

وهكذا أدَّت الحوزات الشريفة والمرجعية الدينية دورها المشـــرف في التصـــدي للأجنبـــي الكافر، ومحاولـــة إحباط مخططاته الجهنمية ومشاريعه الظالمة.

أمـــا في تركيا فقـــد تمّ له ما أراد ، حيث لا يســـمع فيها للحوزات والمرجعية الدينية الشيعية صوت، ولا ينالها نفوذهما ، وانقلبت تركيا في دولة تحمل راية الإســـلام، ومركز للخلافة الإســـلامية المفتـــرض حمايتها له، إلى دولـــة علمانية تعادي الإسلام وتقف في وجهه، وتمدّ يد الاستجداء بذلة للغرب الكافر العلمانـــي المتحلل، وحتّى الذين لم يتصدوا لذلك ولأمثاله من محاولات التغيير نحو الأصلح لم يتقاعسوا خنوعاً وخوفاً، ولا خيانة وتهاوناً بالواجب، بل كانت لهم وجهة نظرهم الخاصة، حيث كانوا يـــرون قوة العدو المواجه، وضعف القوى المادية

(١) الروم: ٤.
(٢) البقرة: ٢١٦.

التي كانوا يملكونها، وقلة ذوي البصائر الثابتين على المبادئ، وكثرة المدسوسين والمشبوهين وضعاف النفوس وذوي الأطماع، الذين يخشى أن يسيطروا على التحرك الإصلاحي، أو يجروه بالآخرة لصالحهم وتحقيق أطماعهم، ويتنكروا للمبادئ والأسس التي قام عليها، واندفع عنها، كما تكرر نظير ذلك على امتداد التاريخ.

فالمرجع الكبير آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره[1] قد امتنع من مقارعة بريطانيا والاشتراك في الثورة عليها بعد أن أخفق ـ عسكرياً ـ هو وغيره في صدّها ومنعها عن دخول العراق، وبعد أن تمّ لها السيطرة عليه عسكرياً ونفوذها فيه، لقناعته بعدم الجدوى في ذلك، نظير رأي المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبى قدس سره بعد أن خاض تجربة الجهاد، فقد سبق أنه بعد أن رجع للناصرية قال: «الحمد لله الذي عرّفني تكليفي».

وكذلك كان رأي السيد اليزدى قدس سره من قبل حينما امتنع من الدخول في الدعوة للدستور الإيراني، تلك الدعوة التي عرفت بالمشروطة، فقد كان يعتقد أن ما يخطط له الداعون لذلك من الإصلاح لا يتم لهم.

(١) أُنظر ص ١٥٦ هامش ٤.

وكان يقول فيما بلغنا: «إذا كان الشاه المستبد ذئباً واحداً فنحن سوف نقع بأيدي سبعين ذئباً، وإن الناس الذين نراهم معنا مندفعين نحونا، سوف يتركوننا لوحدنا لو تهددت مصالحهم».

ولكل وجهة نظره، ومن حقِّه الاحتفاظ بها، والعمل عليها. و ﴿...الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[1]. وإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

والرقيب هو الله سبحانه وتعالى، ومنه التوفيق والتسديد.

٧ ـ وقد وقف المرحوم آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره[2] في لبنان من الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى

(١) القيامة: ١٤ .

(٢) السيد عبد الحسين السيد يوسف شرف الدين (١٢٩٠ ـ ١٣٧٧ هـ) من مراجع التقليد المجاهدين في لبنان ومن الزعماء الوطنيين الكبار، له موافق مشهودة في المجالات العلمية والدينية والسياسية والثقافية، جاهد ضد الفرنسيين في لبنان وناظر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر في (المراجعات).

من مؤلفاته: «المراجعات»، «النص والاجتهاد» و «الفصول المهمة» وقد ترجمت الى عدة لغات، وله كثير غيرها.

لمزيد من التفاصيل أُنظر: أعيان الشيعة: ٧ / ٤٥٧. ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٢ / ٧٣٦ وغيرها كثير.

وراجع: كتاب رائد الفكر الاسلامي السيد عبد الحسين شرف الدين للدكتور هادي فضل الله مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٨٧م . ومقدمتي كتاب النص والإجتهاد للسيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد صادق الصدر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٦م.

نظيـــر الموقف الذي وقفـــه المراجع والعلماء فـــي العراق من بريطانيا في ثورة العشرين وما تبعها من أحداث.

وقد أدى ذلك إلـــى تعرضه لانتقام الفرنســـيين، فحكم عليه بالإعدام، وهوجم بيته، وأُحرقت مكتبته، وانتهكت حرمته وحرمة المؤمنين معه، وفرّ هارباً منهم بنفسه إلى فلسطين.

٨ ـ كمـــا كان للمرحـــوم آيـــة الله الســـيد أبي القاســـم الكاشـــاني قدس سره[1] المواقف المشـــهورة في إيران ضـــدّ النفوذ البريطانـــي بعد الحرب العالمية الثانيـــة، وكانت ثمرتها تأميم النفـــط الإيراني بعـــد أن كان امتيـــازه للشـــركة البريطانية، وما استتبع من أحداث وتطورات تغني شهرتها عن التعرض لها.

وهذان الموقفان وإن لم تباشـــرهما المرجعيات الدينية القائمة في وقتهما، إلا أنهما يشـــاركان المواقف التي باشرتها المرجعيات في الدوافع والأهداف الشرعية. على أن الأول كان يشغل واجهة المرجعية في مركزه.

٩ ـ وكان للعلمـــاء الأعلام والمرجعيـــة الدينية المواقف المتلاحقة ضد التغلغل الصهيوني وقيام كيانه ودولته في فلسطين.

وتبدأ تلك المواقف بسفر المرحوم آية الله الشيخ محمد

(١) أُنظر: ص ١٥٥ هامش٢.

حسين آل كاشف الغطاء قدس سره[1] للقدس من أجل المشاركة في المؤتمر الإسلامي الذي عقد فيها في أواسط القرن الرابع عشر الهجري.

وكان سفره من المرجعية الدينية آنذاك ودعم من العلماء الأعلام.

حتى أن المرحوم الميرزا النائيني قدس سره قد خرج مشيعاً له إلى خارج النجف الأشرف، وسيدنا الجد السيد الحكيم قدس سره[2] قد شيعه إلى بغداد.

وتلا ذلك البيانات والفتاوى والاستنكارات والنشاطات حتى أيامنا هذه، وكل ذلك معلوم مشهور بنحو يغني عن إطالة الكلام فيه.

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد.

---

(١) الشيخ محمد حسين الشيخ علي كاشف الغطاء (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣ هـ) من أعلام ورجال الحوزة العلمية في عصره ومن فرسان الفصاحة والبيان، ولد ونبغ وتوفي في النجف الاشرف، جاهد ضد الانگليز أثناء غزوه العراق، شارك في المؤتمرات العربية الاسلامية ونشر أبحاثه ومقالاته واشعاره في أمهات الصحف العربية. له مكتبة نفيسة عامرة.
من مؤلفاته: «أصل الشيعة وأصولها»، «تحرير المجلة»، «المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون» وغيرها كثير.
لمزيد من التفاصيل انظر: الاعلام: ٦ / ٣٣٩. وأحسن الوديعة: ٢ / ١٠٧ ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٣ / ١٠٤٩.
(٢) اُنظر: ص ١٢١ هامش ١.

الثالث: التصدي السلبي

الذي تميزت به هذه الطائفة في جميع أدوارها تبعاً لنهي الله

تعالى عن الركون إلى الظالمين، ولتعاليم أئمتها عليهم السلام النابعة من ذلك.

فإن كثيــراً من الفئــات تتعامل مع الوضــع القائم على

أســاس الاعتراف بالأمر الواقع ولو بضميمة الشــكليات التي

تضمن شرعيته بنظرهم.

أمـــا هذه الطائفة فقـــد حرَّمت ـ فقهيـــاً ـ إعانة الظالمين والركـــون إليهم، حتى عـــدّا من الكبائر. ولـــو طبّق المؤمنون عموماً ذلك وجروا عليه لكان لهم شأن آخر. ولا يسعنا إطالة الكلام في هذا الأمر.

غير أن المرجعية الدينية للشيعة قد جرت عليه، وتميزت الحوزات الشريفة عموماً به، فكان لها كيانها المستقل على ما سبق في جواب السؤال التاسع[1].

وإذا كان هـــذا موقفها من الحكومات الإســـلامية، وهي تعيـــش في ظلها، فلابد أن يكـــون موقفها من الأجنبي الكافر ـ الـــذي يحاول النفوذ في بلاد الإســـلام، والتحكم في مقدراتها وقوانينها ـ أصلب وأشد.

وقد بـــدا ذلك واضحاً فـــي العصور القريبـــة حين بدأ الأجنبي يتسلل لبلاد الإسلام ويحاول النفوذ فيها.

وهناك عدة من الوقائع يحسن إثباتها..

منها: قصة التنباك الشهيرة[2]

(١) أُنظر ص ١٤٠.

(٢) اتفـق نـاصر الدين شـاه مع شركة انگليزيـة على احتـكار التبغ الايراني وذلـك بأن تتولى

فقد أعطت حكومة إيـــران لبريطانيا امتياز التنباك، وقد أدرك الســـيد الشـــيرازي الكبير قدس سره[1] خطورة هذا الأمر، وأنه مقدمة لنفوذها في إيران وتحكّمها فيها، كما حدث لها في كثير من البلاد، فأحبط ذلك بفتواه الشـــهيرة بتحريم التنباك، حيث وقفت تجارته، وتعطل عملهم.

وقد حاولـــوا إقناعه بالعدول عن ذلـــك، ومنّوه بالكثير،

الشركة الاجنبية زراعة التبغ وبيعه وتقديره لمدة خمسين عاماً ابتداءً من سنة ١٨٩٠م.
قـد أثـرت الاتفاقيـة تأثيراً سـيئاً عـلى التجـارة الداخلية والسـوق المحليـة فاندلعـت على أثر ذلـك انتفاضـة شـعبية في ايـران عـام ١٨٩٠م بقيـادة العلماء الاعلام وقد أرسـل السـيد الشيرازي قدس سره رسـائل عديدة لشـاه ايران يطالبه فيها بالنزول عنـد إرادة الجماهير فلم تلق تلـك الرسـائل آذانـاً صاغية ، مما أضطر السـيد الشـيرازي قدس سره الى إصدار فتواه الشـهيرة بتحريـم التدخـين فامتنـع الايرانيـون عـن التدخـين . حتى أن نسـاء قصر الشـاه كسرن آلات التدخـين في القـصر الملكي مما أضطر معه الشـاه الى الرضوخ للامة وإلغاء الاتفاقية وتعويض الشركة عن خسارتها .

(١) السـيد محمد حسـن السـيد محمود الشـيرازي (١٢٣٠ ـ ١٣١٢ هـ) تولى الزعامة الدينية فى عهـده، هاجـر وهاجـر معـه جمع من أهـل العلـم والفضل والـورع إلى سـامراء وفتح أبواب البحث والتدريس والعلم فيها، تصدى للشـأن العام واهتم بالفقراء وأهل القرى والبوادي فكان يقدم لهم ما يحتاجون إليه من ألبسـة وأطعمة في كل سـنة مرتين، وكان له مجلس خاص ضم أهل الرأي والمشـورة يعقد متى دعت الحاجة لمعالجة الشـأن السـياسي وتداعياته في بلدان المسلمين.
من مؤلفاته: «حاشية نجاة العباد»، «رسالة في اجتماع الامر والنهي» وغيرها.
لمزيـد مـن التفاصيل اُنظـر: أعيان الشـيعة: ٢٣ / ٢٦٤. معارف الرجـال: ٢ / ٢٣٣. الكنى والالقاب: ٣ / ٢٢٢. وغيرها كثير.

لكنه قدس سره أصرّ على موقفه.

وآخر ما قاله لوفدهم: ـ الذي ذهب إليه في سامراء لاقناعه ـ «لو تملأون الدنيا لي ذهباً وفضة لما عدلت عن ذلك»[1].

وانتهى الأمر أخيراً بتنازلهم عن الامتياز المذكور وفشلهم في مخططهم.

ومنها: الفتنة التي حدثت في عصر السيد المذكور في سامراء، وامتدت إلى بغداد وغيرها بما لها من عنف طائفي.

وقد قيل إنها بدفع من الوالي العثماني في بغداد. وقد اشتدت بسبب تجاهل الوالي لها وتصامّه عن سماع شكوى العلماء، ومحاولته منع إعلام السلطان في (الاستانة) بها.

واشتد الأمر على السيد قدس سره وأهل العلم الذين في سامراء، وقد حاول السفير البريطاني التدخل في الموضوع ونصرة السيد قدس سره، وذهب إلى سامراء لعرض خدماته عليه، وطلب الإذن بالدخول عليه، فلم يأذن له وأنف من الشكوى له حفظاً لكرامة الإسلام والمسلمين، ومنعاً لتدخل الأجانب في أمرهم.

فرجع السفير خائباً، حتى إذا وصل الخبر عما حدث

(١) معارف الرجال: ٢ / ٢٣٥ .

للسلطان في الاستانة تدخل لإيقاف العدوان وإطفاء الفتنة، وكفى الله المؤمنين[1].

ومنها: أن خيرية (أودة) الهندية ـ التي هي خيرية شيعية مخصصة من صاحبها لأهل العلم والفقراء في العتبات المقدسة ـ كانت تنفق عن طريق المراجع، حتى أن الشيخ الانصاري قدس سره[2] في عصره قد تولى إنفاقها.

إلا أنه لما بدأت بريطانيا التي كان لها حكم الهند، تحاول النفوذ في البلاد، وخيف من استغلالها لذلك توجست منها المرجعية وتنزهت عنها.

حتى أنها عرضت على المرحوم المرجع الشهير المقدس الشيخ محمد طه نجف قدس سره[3] فقال بعد الاستعاذة والبسملة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[4]

(١) معارف الرجال: ٢ / ٢٣٥ .

(٢) أُنظر: ص ١٢٧ هامش ٣ .

(٣) الشيخ محمد طه الشيخ مهدي نجف (١٢٤١ ـ ١٣٢٣ هـ) من مراجع التقليد في عصره ولد وتوفي في النجف الأشرف وجمع بين الفقه والأصول والرجال والأدب والشعر . من آثاره (اتقان المقال) ، (الفرائد الاصولية) ، (مناسك الحج) وغيرها . لمزيد من التفاصيل أُنظر: أعيان الشيعة: ٩/ ٣٧٥. والحصون المنيعة: ٨ / ٣٧٤. شعراء الغري: ٩ / ٣٨٨ وغيرها .

(٤) سورة الكافرون: ١ ـ ٢.

فقال له الرسول : أنا مسلم.

فأجاب: نعم، ولكنك آلة الكافر[1].

وبقيت النظرة إليها بريبة وتنزه، حتى أنه عرض منها مبلغ محترم على سيدنا الجد السيد الحكيم قدس سره قبل مرجعيته بما أنه من أفضل مصارفها ـ وكان في ضائقة مالية شديدة ـ فلم تطاوعه نفسه على أخذه ترفعاً وتنزهاً[2].

ومنها: أن الإنكليز لما تغلغلوا في البلاد الإسلامية حاولوا أن يتألفوا الرؤساء وذوي المقام الاجتماعي فيها ـ بما في ذلك العلماء ـ بالهدايا والأموال، ونجحوا في كثير من ذلك، مما سهل عليهم مدّ الجسور وفتح الحوار والتحكم في الأُمور .

وقد حاولوا ذلك مع مراجع الشيعة وعلمائهم فباؤوا بالفشل، حتى أن (السير رونالد ستورز)[3] لما فشل هو ومن

(١) معارف الرجال: ٢ / ١٠٨ .

(٢) وممن عرضت عليه وترفَّع عنها السيد حسين السيد رضا بحر العلوم(١٢٢١ ـ ١٣٠٦ هـ)، فقد رفض المبالغ الكبيرة التي فوضت إليه من خيرية (أودة) الهندية، وهي أن يستلم شهرياً خمسة آلاف روبية انكليزية، فقد هجر النجف على أثرها وسكن كربلاء فراراً منها.

اُنظر: أعيان الشيعة: ٢٦/ ٥٨. شعراء الغري: ٣ / ٢١٦.

(٣) مبعوث بريطاني، كان يتقن اللغة العربية، زار النجف الأشرف والتقى ببعض الوجهاء والأدباء والعلماء.

قبله ثلاث مرات في إقناع المرجع الكبير المرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره في قبول المال منهم ـ ولو بحجة مساعدتهم في توزيعه على الفقراء ـ عقب على ذلك بأنه يعتقد أن الشيء المهم الذي كان يعبأ به السيد هو الأنفة والإباء، لا المال، ثم يقول: «وهذا موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر والحجاز في ظروف مماثلة»[1].

كما أنه أشاد بقوة شخصية السيد المذكور وتعاليه، حيث يذكر أنه بعد أن تبّحر في وجه السيد أدرك في الحال السرّ في شهرته ونفوذه، فهناك قوة في سيمائه الواضحة وعينيه الرماديتين المتعبتين وسلطان في وجوده وحديثه الخافت مما لم يجد له مثيلاً في أي مكان آخر من بلاد المسلمين[2].

وذلك وإن لم يكن غريباً علينا، بل هو متوقع من كلّ متدين، فضلاً عن المراجع العظام الذين يمثلون خط الإسلام، إلا أن اُلفتنا له إنما كانت بسبب التركيبة المثالية للحوزات الدينية التي هي امتداد لمدرسة الأئمة عليهم السلام وللمرجعية الدينية التي يفترض فيها أن تكون ممثلة لهم(صلوات الله عليهم). ولولا

(١) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الأشرف: ١ / ٢٥٧.
(٢) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الأشرف: ١ / ٢٥٦.

ذلك لكانوا كغيرهم من ذوي المكانة والنفوذ حتى المحسوبين على الدين.

ويبدو أثر ذلك كله واضحاً في موقف بريطانيا في العراق، حيث تجنبت التعامل مع الشيعة، بل شددت في تجاهلهم وفي الضغط عليهم، مع أنهم الأكثرية المستضعفة في عهد الحكم العثماني المعادي لهم، والمنحدر أمامهم، واعتمدت على غيرهم ممن كان يوالي العثمانيين، وينعم بظلهم، وله النفوذ والسلطان في عهدهم.

وهذه ضريبة الحق والمبدأ، والحمد لله على هدايته وتوفيقه، ونسأله أن يثبتنا على ذلك ويوزعنا شكره والقيام بحقه.

ومنها: تصدي العلماء الأعلام والمراجع العظام للحكومات القائمة في البلاد الإسلامية حينما كانت تعرض عن قوانين الإسلام وتعاليمه، وتحاول فرض القوانين والسلوكيات الكافرة والعمل عليها متأثرة بالأجنبي حينما بدأ يتنفذ في المنطقة، وأخذت فاعلية الدين تضعف بسبب ذلك. فكانوا يقفون في وجه تلك الحكومات وينكرون عليها ذلك كما ينكرون عليها سائر تجاوزاتها ومظاهر انحرافها. وكان ذلك موقفهم الثابت الذي لايحيدون عنه ما وجدوا إليه سبيلاً.

وربمـــا تطورت الأُمور فكان لذلـــك الموقف مضاعفات وردود فعل مأساوية.

ولعل من أفجعها ما حصل في إيران حينما سارت حكومة رضا بهلوي في طريق الانحراف والتنكر للإســـلام بوحي من الأجانب، فـــأرادت تحويل المجتمع الإيراني المســـلم المؤمن بالقســـر والقهر إلى مجتمع غربي في ســـلوكه وتحلله، فوقف رجـــال الدين في وجهها وأنكروا عليها حتى إذا تأزمت الأُمور ردّت الحكومة بقســـوة بالغة انتهت بالمأســـاة والفجيعة قتلاً وسجناً وتشريداً في حملة لإنهاء الوجود الديني في إيران، ولم ينج من ذلك إلا حوزة (قم) المقدسة، حيث تجمعت البقية الباقية فيها برعاية المرحوم الشـــيخ عبد الكريم اليزدي قدس سره كما سبق.

إلى أن فرّج الله تعالى بعد محنة عسيرة طال أمدها.

وبعـــد ذلك في عصـــر المرجـــع الكبير آية الله الســـيد البروجردي قدس سره[1] حاولت الســـلطة سَنّ بعض القوانين الكافرة وتمريرهـــا، فوقـــف قدس سره دون ذلك بحزم وصرامـــة، فلم تجرأ

(١) السيد حسين السيد علي البروجردي(١٢٩٢ ـ ١٣٨٠ هـ)، زعيم الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة في عصره، اهتم بالتقريب بين المذاهب الاسلامية وسعى له، له مؤلفات في الفقه والاصول والرجال.
لمزيد من التفاصيل أُنظر: نقباء البشر: ١ / ٦٠٩. الموسوعة الفقهية الميسرة: ١ / ٥٧٠ وغيرها.

السلطة على مخالفته لما له من مقام رفيع وقوة جماهيرية. حتى إذا قضى نحبه أعادت الكرة، فكان ما كان مما هو معروف مشهور.

وفي العراق كان المرحوم سيدنا الجد آية الله السيد الحكيم قدس سره في صراع مستمر من أجل إلغاء القوانين المخالفة للإسلام في العهد الملكي والقاسمي والعارفي، مما أوجب توتر العلاقة بينه وبينها في أغلب الأوقات. وهي تارة تضطر للاستجابة له، وأخرى تمتنع عليه حسب اختلاف الظروف والأحوال، وكانت هذه محنته معها وشكواه منها إلى آخر أيامه.

ومن أجل هذه المواقف المبدئية لأهل العلم والمرجعية كان رجال الدين عبئاً على أنظمة الحكم القائمة في البلاد وعلى الأجنبي من ورائها، وكانوا يجعلونهم في حسابهم عند تحركاتهم، ويخططون للقضاء عليهم، أو إضعافهم، أو تحجيمهم، أو إسكاتهم، وخنق أصواتهم، كما قد يحاولون إغراء العامة بهم وتشويه سمعتهم والنيل منهم حسب اختلاف الظروف والملابسات.

وتجلى هذا بوضوح منذ بدأ الأجنبي الكافر يتنفذ في البلاد، ويتحكم فيها، ولا يزال الصراع مستمراً، ﴿ **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن**

قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[1]، وعليه المعول في الأُمور.

س ١١ ـ يصور البعض المرجع الديني منعزلاً عن شؤون الأُمَّة ومحنتها، فما هو تقييمكم لهذه الفكرة خاصة أنكم تصديتم لتحمل مسؤولية المرجعية الدينية.

ج: حثّ الإسلام أفراد المسلمين عموماً على الإهتمام بشؤون المسلمين، حتى ورد أن من أصبح لايهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم[2]، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً[3].

فإذا كان الاهتمام بأُمور المسلمين مطلوباً من افرادهم عموماً، فكيف بعلماء الدين ومراجع المسلمين الذين هم الأعرف بأحكام الإسلام وتعاليمه الشريفة، والأحرى بالجري عليها والأخذ بها. ولا سيما بعد إطلاعهم على مشاكل الأُمَّة بسبب احتكاكهم بالناس، وتعرفهم عليهم، وانشدادهم لهم بحكم مركزهم.

ويشهد على ما ذكرنا أمران معروفان من حال مراجعنا

(١) الروم: ٤ .

(٢) راجع الوسائل: ١١ باب ١٨ من أبواب فعل المعروف .

(٣) صحيح البخاري: ١ / ١٢٣ .

العظام وسيرتهم..

الأول: أن المرجع كثيراً ما يتخلى عن دروسه التقليدية وكثير من التزاماته الخاصة ـ في بعض عباداته والتزاماته ـ نتيجة انشغاله بشؤون المرجعية ومشاكل الناس ومتاعب الأُمَّة، لأنها بنظره أهمّ من تلك الالتزامات التي أفنى عمره فيها اهتماماً بها، وألفها في حياته طويلاً وأحبها.

الثاني: أن المرجع كثيراً مّا يتعرض للمحن والمضايقات من أعداء الأُمَّة والحاقدين عليها، ولولا اهتمامه بأُمور الأُمَّة، ومشاركته لها في آلامها وآمالها، وسعيه لخيرها، ودفاعه

عنها، ومطالبته بحقوقها، لما تعرض لذلك.

بل كثيراً ما يكون هــو في واجهة المحنة، وعليه ينصب الحقد والنقمة.

وكم وقف علماؤنا الأعــلام ومراجعنا العظام من العتاة والظالميــن موقــف الخصم المدافــع عن حقــوق المؤمنين المظلومين، والســاعي لدفع الظلامات عنهم، واهتموا بمعالجة مشــاكلهم ومواســاتهم في محنهم وإصلاح أمورهم، وســد حاجاتهم العامة والخاصة..

١ ـ فالمرجــع الشــهير كاشــف الغطــاء الكبيــر قدس سره[١] قــد تشــفَّع عند الســلطان فتح علي شــاه في إطلاق ســراح الأســرى العثمانييــن[٢] من أجــل تخفيف حــدّة التوتر بين الدولتيــن، وتجنيــب الشــعبين المســلمين مآســي ذلــك.

٢ ـ كما أنه قدس سره قد صان النجف الأشرف ودفع عنه غارات

(١) الشيخ جعفر الشيخ خضر كاشف الغطاء (١١٥٤ ـ ١٢٢٧ هـ) تولى الزعامة الدينية في عصره، ولد ونبغ وتوفي في النجف الأشرف وكان معروفاً بالعلم والورع، دافع عن النجف دفاعاً مستميتاً ضد الغزاة وكانت داره مشجباً للاسلحة وثكنة للجنود والمتطوعين. من آثاره «شرح قواعد العلامة الحلي»، «غاية المأمول في علم الاصول»، «أحكام الاموات». لمزيد من التفاصيل أُنظر: روضات الجنات: ٢ / ٢٠٠. ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٣١. وأعيان الشيعة: ١٥ / ٣٠٦ وغيرها.

(٢) معارف الرجال: ١ / ١٥١.

الوهابيين التي كانت تقصده وتكاد تفتك به كما فتكت بكربلاء، فأعدّ العُـدّة للدفاع بحمل أهل العلـم والنجفيين على التدريب على حمل السلاح والدفاع عن البلد، وكان هوﷺ وأولاده وأهل العلم يباشرون ذلك مع الناس[1]، في وقائع مفصلة استفاضت في تفصيلها أحاديث المؤرخين، وتواترت عند الناس.

٣ ـ وكان مفزعـاً للمسـتضعفين وكهفاً لهـم في الفتنة المعروفة بين فرقتي الشمرت والزكرت في النجف الأشرف[2].

كمـا تحمل عن النجفيين بعض الضرائـب الفادحة التي وضعها العثمانيون[3].. إلى غير ذلك من أعماله الجليلة.

٤ ـ وولده الشيخ موسىﷺ[4] ـ الذي خلفه في المرجعية ـ هو الذي منع الوالي العثماني داود باشـا من فرض التجنيد

(١) معارف الرجال: ١/ ١٥١ . وماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٣٧ .
(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٣٨ .
(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٣٨ .
(٤) الشيخ موسى الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٨٠ ـ ١٢٤٣ هـ) من مراجع التقليد فى النجف الاشرف ولد ونبغ وتوفي فيها،يعرف في العراق وايران بالمصلح بين الدولتين المسلمتين ايران وتركيا.
من مؤلفاته: «احكام الصلاة» و «بغية الطالب» و «كتاب اللقطة والغصب والقضاء».
لمزيد من التفاصيل أُنظر أعيان الشيعة: ٤٩/ ٤٢ . ريحانة الادب: ٥ / ٢٦ . الكنى والالقاب: ٣ / ١٠٣ وغيرها .

الإجباري على النجفيين[1]، وقد فرض شـــخصيته عليه، فكان يعظمه كثيراً[2].

٥ ـ كما أنه أصلح بين الدولتيـــن الإيرانية والعثمانية[3]، وجنب الشعبين المسلمين محنة الخلاف بينهما ومآسيه.

٦ ـ وســـعى في حفظ خزانة العتبة المقدســـة في النجف الأشـــرف، فســـجلها ونقلها إلى الكاظمية احتياطـــاً عليها من غارات الوهابيين[4].

٧ ـ وأخوه الشيخ حســـن[5] قد دفع عن النجف الأشرف عاديـــة الوالي العثماني نجيب باشـــا، حيث إنـــه بعد أن فتك بكربلاء توجه بجيشه للنجف، للفتك بها وتدميرها، فخرج إليه الشـــيخ حسن قدس سره وسيطر على مشـــاعره حتى ثناه عن عزمه،

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٠١ .

(٢) معارف الرجال: ٣ / ٢٧. وماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٠١.

(٣) معارف الرجال: ٣ / ٢٦. وماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٠١ .

(٤) معارف الرجال: ٣ / ٢٨ .

(٥) الشـيخ حسن الشـيخ جعفر كاشـف الغطاء (١١٨٠ ـ ١٢٤٣ هـ) من مراجع التقليد في عصره . جند وعبأ وسلَّح النجفيين للذود عن حياض مدينتهم المقدسة ضد المعتدين . من مؤلفاته: «أنوار الفقاهة» ، «شرح أصول كاشف الغطاء» ، «تكملة بغية الطالب». لمزيد من التفاصيل أُنظر: الاعلام: ٢/ ٢٠١. أعيان الشيعة: ٢١ / ١٣٣. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٣ / ١٠٤٠ وغيرها .

فدخل النجف سلماً في قصة طويلة[1].

٨ ـ ودافع عن الشيعة في موقف له محمود مع علماء بغداد في عهد الوالي المذكور.

٩ ـ وكان له موقف مشرف في إخماد فتنة الشمرت والزكرت التي أضرت بالنجف والنجفيين[2].

١٠ ـ والشيخ الجليل صاحب الجواهر قدس سره[3] قد عرف عنه أنه نهض للنجفيين عند هجوم الطاعون عليهم سنة (١٢٤٧ هـ) ، وسارع لغوثهم ومواساتهم.

وكذلك كان موقف العَلَم المقدس السيد محمد باقر القزويني قدس سره[4] حيث وقف في ذلك الطاعون موقفاً مشرفاً

(١) معارف الرجال: ١ / ٢١٣. وماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٤٨ .

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٤٨ .

(٣) أُنظر: ص ١٢٧ هامش ٢ .

(٤) السيد محمد باقر السيد أحمد القزويني المتوفى عام ١٢٤٦ هـ من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، نظَّم أمور الناس في حارات النجف أيام اجتياح وباء الطاعون للمدينة . وهيأ ما يحتاجون اليه من اسعافات وعلاج وأقام أماكن عزل للمصابين وتولى تكفين وتجهيز ودفن حوالي أربعين ألفاً ممن ماتوا به وتولى كفالة أطفالهم وعيالهم . وحين أتم كل ذلك على أحسن وجه قدّر الله له أن يكون آخر من توفي بالطاعون.
له «جامع الرسائل في الفقه» ، «حواشي على كشف الامام» و«الوسيط في الطهارة» .
لمزيد من التفاصيل أُنظر: أعيان الشيعة: ١٣ / ١٣٢. الكنى والالقاب: ٣/ ٦٢. معارف الرجال: ١ / ١٢٣ وغيرها.

لتنظيم أُمور الناس وسد حاجاتهم فيه، وكان آخر من توفى بالطاعون المذكور[1].

١١ ـ كما أنه قد جدّ واجتهد في مشروع إيصال ماء الشرب للنجف الأشرف حتى أشرف على إنهائه، إلا أن الأجل لم يمهله لإكماله، فبقي معطلاً مدة طويلة، ثم أكمله السيد الجليل السيد أسد الله الرشتي قدس سره[2].

١٢ ـ ولما اشتد الغلاء سارع السيد الشيرازي الكبير قدس سره لتخفيف وطأته عن أهالي النجف الأشرف، فعين لكل محلة من محلات النجف ولكل فئة من سكانها جماعة يوزعون الحبوب على المحتاجين، واستمر على ذلك حتى حلّ موسم الحصاد الجديد، وارتفعت الشدة عن الناس[3].

١٣ ـ وكان قدس سره يعطي فيفضل، وينيل فيجزل، وكان يجمع للفقراء وأهل القرى والبوادي ما يحتاجون إليه من ألبسة وأطعمة في السنة مرتين[4].

١٤ ـ ولما ذهب إلى سامراء نصب جسراً من القوارب على

(١) معارف الرجال: ١ / ١٢٤ .
(٢) معارف الرجال: ٢ / ٢٢٨. وماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٩٧ .
(٣) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث: ٣ / ٨٨ .
(٤) معارف الرجال: ٢ / ٢٣٥ .

نهر دجلة أمامها بلغت كلفته ـ فيما قيل ـ ألف ليرة عثمانية، لتسهيل العبور على الناس والزوار، وله منشآت خدمية مهمة في سامراء[1].

١٥ ـ ولما رأى المرحوم الشيخ محمد الشربياني قدس سره[2] ما يتعرض له الحجاج على الطريق البري من النجف الأشرف على جبل «حايل» من مخاطر ومهالك، ونصب وعطب، جهد في منع الطريق، وحرّم سلوكه حفاظاً على أرواح المؤمنين، مما اضطر الحكومة الإيرانية إلى منع حجاجها منه.

ووافقه بقية العلماء لما استبان لهم صحة وجهة نظره بالتجربة، فانقطع الطريق تماماً في بعض السنين[3].

١٦ ـ وقد أنشأ المرحوم المقدس المرجع الديني الشيخ محمد طه (طاب ثراه) خاناً كبيراً في الهندية ينزله الزائرون للإمام الحسين عليه السلام في طريقهم الى كربلاء ، من أجل تخفيف

(١) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث: ٣ / ٩ .

(٢) الشيخ محمد ابن المولى مفضل علي الشربياني(١٢٤٥ ـ ١٣٢٢ هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف عرف برعايته الخاصة للأرامل والأيتام والزوار والفضلاء، شيَّد مدرسة للطلاب وتوفى بلا دار ولا عقار وعليه دين جسيم .
من مؤلفاته: «حاشية فرائد الاصول» ، «حاشية المكاسب» وكتاب في أصول الفقه .
لمزيد من التفاصيل أُنظر: أحسن الوديعة: ١/ ١٧٦ . أعيان الشيعة: ٤٦/ ١٨٨ . ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٥٥٤ وغيرها .

(٣) معارف الرجال: ٢ / ٣٧٣ .

معاناتهم.

١٧ ـ ثم تتابعت الأحداث التي بذل فيها العلماء أنفسهم للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وتدبير أمورهم، من أواخر القرن الثالث عشر الهجري إلى أواسط القرن الرابع عشر التي استطردنا كثيراً منها في جواب السؤال السابق[١].

١٨ ـ ولما اصطدم الأتراك بالنجفيين في أواخر أيامهم في العراق ووجهوا مدافعهم نحوهم فأصابت بعض القذائف الصحن الشريف وألحقت بعض الأضرار به، أبرق المرحوم المرجع الكبير السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره للأستانة محتجاً على ما حصل من التعدي على الصحن الشريف وعلى الناس[٢].

١٩ – وأنشأ السيد اليزدي المذكور قدس سره خاناً كبيراً في النجف الأشرف في محلة العمارة للزائرين ينزله من لايتيسر له المأوى منهم، وبقي هذا الخان الى أيامنا حتى تعطّل، فراجع بعض أولاده سيدنا الجد السيد الحكيم قدس سره فجعله مدرسة دينية بعد أن غير فيه وحوّر ، وأنفق سيدنا الجدّ قدس سره نفقات باهضة من أجل ذلك لكنه هُدّم في الأعوام القريبة في ضمن ما هدم من محلة العمارة.

(١) لمزيد من التفاصيل اُنظر ص ٤٧.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الاشرف: ١ / ٢٥١ .

٢٠ ـ وعـرض المرجـع الشـهير السـيد أبو الحسـن الأصفهاني قدس سره في أواسـط القرن المذكور على الوصي حين اجتمع به ـ فيما بلغنا ـ أن يضع جسـراً على نهر دجلة مقابل سـامراء لتسـهيل الأمر على الزائرين، حيث استهلك الجسر الذي صنعه السيد الشيرازي قدس سره قبل نصف قرن، وكان العبور منحصراً بالطريق النهري آنذاك لكنه لم يتمّ له ما أراد.

٢١ – كما أنه حاول التخفيف عن معاناة الناس كافة، في النجف الأشـرف لما ظهرت بوادر أزمة الحنطة بسبب الحرب العالميـة الثانية، حيث يقول المتحدث : «فأخذ على عاتقه جلب الأطعمة الى النجف وأمر بزيادة الأفران ومضاعفة الترفيه حتّى صارت الحرب من وسائل النعمة والاغداق على كثير من الفقراء»[1].

٢٢ ـ وقد طالب المرحوم الشـيخ محمد حسـين كاشف الغطـاء قدس سره وجماعة من أهل العلم بحقوق الشـيعة في العراق في العهد الملكي، واستقطب جمعاً كثيراً في ذلك، إلا أن الناس الذين نهضوا معه خذلوه، ولم يستطع أن يحقق شيئاً؛ بل عانوا الكثير من الدولة في أعقاب ذلك.

٢٣ ـ وقـد كان سـيدنا الجد السـيد الحكيم قدس سره في عهد مرجعيتـه الطويل الذي عشـناه ملجأ للمؤمنيـن في العراق

(١) مجلة الدليل العدد: ٣ ، ٤ وهو العدد الخاص بمناسبة وفاته قدس سره: ١٣٥.

وخارجه، وكان دأبه اقيام بحلّ مشاكلهم، والمطالبة بحقوقهم، ودفع الظلامات عنهم، والاهتمام بشـــؤونهم، وبتثقيفهم دينياً، وجمع كلمتهم، وإصلاح ذات بينهم.. إلى غير ذلك مما لا يزال الناس يذكرونه به ويشكرونه له، في مختلف البلاد الإسلامية.

وجـــاء مَن بعده ليؤدوا ما عليهـــم في هذا الجانب ضمن قدراتهم المحدودة وظروفهم الصعبة، والأوضاع المعقدة التي مضوا فيها بصبر وحكمة، وليس لهم إلا الله تعالى، وعليه جزاؤهم.

هذا غيض من فيض مما قامت به المرجعيات في العراق في العصور القريبة. ولا يتيســـر لنا اســـتعراض ما قامت به في العصور الأســـبق، ولا ما قامت به المرجعيات في الأقطار الأخرى، ولا ســـيما إيران حيث تكون المرجعيات فيها أوسع قدرة وأعم نشـــاطاً. لعدم تيســـر مصادر الكثير منه لنا، ولئلا

يطول المقام بنا.

٢٤ ـ علـــى أن من المعروف من ســـيرة المرجعيات في العهود الطويلة وإلى اليوم بذل قســـط من الحقوق الشـــرعية التـــي تصلهم لإقامـــة المشـــاريع العامة النافعة، كالمســـاجد والحسينيات، وأماكن ايواء المسافرين وغيرها، كما تقوم ببذل قسط آخر منها للمعوزين والفقراء، وتتفقدهم وتحسن إليهم.

وهذا أمر لا يمكن تجاهله وإنكاره، وقد تقدم بعضه. وإن اختلف سعة وضيقاً باختلاف المراجع، تبعاً لاختلاف قدراتهم، ووجهـــات نظرهم. ولكثير منهم في ذلـــك مواقف مثالية. ولا مجـــال لإطالة الكلام فيـــه وفي ذكر الأمثلة لـــه بعد وضوحه

وشيوعه وكثرته، بنحو يتعذر استقصاؤه أو الإحاطة بأكثره، فضلاً عن استيفائه كله.

٢٥ ـ ولم تقتصر اهتمامات المرجعية الدينية على تلك الجوانب، بل تعدّتها للجانب الثقافي، لما تدركه من أهمية الثقافة في تكوين شخصية الأمة ورفع شأنها.

ويحسن بنا إثبات ما تيسّر لنا معرفته منها بغض النظر عن ترتب النتائج المرتقبة منها وعدمها، لملابسات أو موانع خارجية غير متوقعة، فان المهم هو السعي نحو خير الأُمة وخدمتها والنتائج بيد الله تعالى، كما قال الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده

وليس عليه أن يكون موفقا

وبعد ذلك نقول :

أ ـ فحينما رأى علماؤنا الأعلام في بداية القرن الماضي الهجري شدة الحاجة للشباب الشيعي المثقف بسبب الركود الثقافي في العراق في أواخر العهد العثماني كان من اهتمامات المرجعية والحوزة عموماً المدارس الجعفرية، فكانت الحقوق الشرعية تنفق في سبيلها في

إجـــازة المرجعية في حينهـــا، كما دعمها رجال الحوزة المرموقون بأنفسهم وشجعوها بمختلف الوسائل، ومن ذلك حضور المجالس المعقودة في مناسباتها.

وقد بلغنا أن المجاهد الكبير الســـيد محمد ســـعيد الحبوبي قدس سره كان يحضـــر تلك المجالس اهتمامـــاً بها وتشـــجيعاً لها، حتـــى كانت بعض الألعاب النارية التي تطلق ابتهاجاً بتلك المناسبات تقـــع عليه وهو مبتهج بانتظـــار الآمال التي كان يعقدها على تلك المؤسسة.

ب ـ وفي أواســـط القـــرن المذكور دعمت المرجعيـــة الدينية ولا ســـيما المرجع الشـــهير السيد أبو الحســـن الأصفهاني والمرجع المعظم الشيخ محمد رضا ياسين(قدس سرهما)جمعية منتدى النشر[1] في مهمتها بإنشاء كليتها الدينية

(١) جمعيـة منتدى النشر: أسسـت في مدينة النجـف الأشرف (سـنة ١٩٣٥م) ناهضة بفكرة تنظيـم الدراسـة النجفية وتطوير مناهجها الى ما يسـع مختلف نواحي الحيـاة الثقافية التي يحتاجها رجل الدين في هذا العصر. وقد أصدر أعضاؤها عدة كتب جسَّدت هذا المنحى منهـا «المنطق» و«أصول الفقه» و«عقائد الإمامية» للشـيخ محمـد رضا المظفر و«الأصول العامـة للفقـه المقـارن» و«القواعـد العامـة في الفقـه المقـارن» للسـيد محمد تقـي الحكيم

وفتح المدارس في بعض مدن العراق ـ كالنجف الأشرف والكاظمية المقدسة وغيرها[1] ـ من أجل تنشئة شـــباب شيعي مثقف متدين يؤدي مهمته في خدمة المجتمع. حتى شجع ذلك بعض ذوي المال والنفوذ بإنشاء مدارس تحت رعايتهم، كما فعل المرحوم بلاســـم الياســـين، ففتح في الحي مدرســـته وأنشأ بعض وكلاء المرجعيات بعض

و«محاضرات في التاريخ الإسلامي» للشيخ محمد مهدي شمس الدين وغيرها.

أنشئت (لجنة الوعظ والخطابة) سنة ١٣٦٤هـ بهدف توجيه شباب الخطباء وناشئتهم الى معالجة المشاكل المنبرية بالأساليب الصحيحة ثم أنشأت (كلية منتدى النشر) ومجلتها (البذرة)، و(كلية الفقه) ومجلتها (النجف).

لمزيد من التفاصيل اُنظر: منتدى النشر أعماله وآماله، النجف، والتقرير العام لجمعية منتدى النشر، النجف ١٩٥٥م. ومنتدى تطور وتاريخ، مجلة النجف، العدد: م ـ ١٩٦٨.

(١) مدارس منتدى النشر: مدارس أنشأتها جمعية منتدى النشر في مدينة النجف لأشرف وبعض مدن العراق الأخرى من مستوى الدراسة الابتدائية الى المتوسطة الثانوية، هدفها تزويد الطلاب بالثقافتين الدينية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام والدنيوية وفق المنهج الرسمي المقرر. وقد خرجت مدارس منتدى النشر وكليتيها المئات من الطلاب الدين كان للكثير منهم دور بارز فيما بعد من إيصال الفكر الإمامي الى مساحة أوسع من العالم. ولعل العديد من الكتاب والمثقفين وناشطي الحركة الإسلامية والأدباء والشعراء والخطباء والمدرسين وغيرهم من خريجيها وفق إحصائية أثبتت ذلك.

لمزيد من التفاصيل اُنظر: منتدى النشر أعماله وآماله، النجف، أعداد مجلة النجف، النجف، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨م وغيرها. أعداد مجلة البذرة، طلاب كلية منتدى النشر، النجف وغيرها.

المدارس في مناطقهم.

ج ـ كما دعموها بمشـــروعها الآخر، وهو قيام بعض الأعلام بتأســـيس المجمـــع الثقافي لمنتـــدى النشـــر[1]، حيث قام المجمـــع المذكور بنشـــاط إســـلامي ثقافي كبير عـــن طريق إلقاء بحوث إسبوعية ونشرها بكتب أصدرها المجمع، كما قامت الجمعيـــة بطبع بعض الكتب في جملة نشاطاتها الثقافي.

د ـ وكان ذلك من أوليات اهتمامات سيدنا الأســـتاذ الجد الســـيد الحكيم قدس سره حتى أنه حين زاره مدير الأوقاف العام عبد الرحمن خضر في داره في النجف الأشرف تحدث معه عن مشكلة التعليم الديني في العراق، حيث كان مهملاً تقريباً

(١) المجمع الثقافي لمنتدى النشر: من مشاريع منتدى النشر، افتتح نشاطه الثقافي باحتفال كبير عام ١٩٥٦م بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ومولد الإمام جعفر الصادق عليه السلام آخذاً على عاتقه مسؤولية إحياء الناسبات الدينية وإقامة المواسم الثقافية والأدبية والتعريف بالفكر الإمامي وما قامت به مدينة النجف المقدسة مرجعيتها الدينية من مهام كبرى والسعي الى تناول مشاكل المحيط وعرضها عرضاً صريحاً والعمل على علاجها قدر الإمكان إضافة لتحقيق ونشر الكتب المهة.
لمزيد من التفاصيل أُنظر: المناسبات الدينية ، مجلة النجف، العدد:١/ ١٩٥٦.

في المدارس الحكومية، فوعده بأن يسعى لذلك، وأنه سوف يخص المناطق الشيعية بمناهج شيعية، ولكن تعصبه قد غلبه ولم يف بوعده ذلك مما أغضب السيد قدس سره عليه، حتى أنه لما جاءه زائراً مرة أخرى فوصل إلى باب داره بلغ برفض السيد الاجتماع به فرجع خائباً. وبقي السيد قدس سره يترقب الفرص ويحاول العمل من أجل ذلك حتى دعم مدارس الإمام الجواد عليه السلام[1] للصندوق الخيري، ثم أنشئت كلية أصول الدين[2] في بغداد تحت رعايته وبدعم منه. وقد

(١) مدارس الإمام الجواد عليه السلام: صممت برامجها لتخريج طلاب يجمعون في ثقافتهم بين لثقافتين الدينية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام والدنيوية وفق مناهج وزارة التربية المعتمدة تماماً كما هو الحال بمدارس منتدى النشر.
وقد فتحت مدارسها في مدينة الكاظمية ببغداد بمستوى الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية كما فتحت مدارس مثيلة لها في مدينة البصرة.
لمزيد من التفاصيل أُنظر: أعداد «مجلة رسالة الإسلام» كلية أصول الدين بغداد، وغيرها.

(٢) كلية أصول الدين: أسست في بغداد عام ١٩٦٤م ووضعت برامجها على أساس تخريج طلاب يجمعون بين الثقافتين الدينة والدنيوية وفق خط أهل البيت عليهم السلام. أصدرت مجلة «رسالة الإسلام» ثم بعد وفاة الإمام الحكيم قدس سره حولت إلى كلية مسائية، ثم الحقت بكلية الآداب، جامعة بغداد، وقد توقفت مجلة «رسالة الإسلام» من الصدور بعد ذلك مثلما توقفت «مجلة النجف».

أرسل البحاثة الكبير آية الله السيد محمد تقي الحكيم[1] ليحاضر في معهد الدراسات الإسلامية في جامعة بغداد.

وكان آخر ذلك محاولة تأسيس جامعة الكوفة[2] تحت رعايته، لولا الملابسات والظروف

لمزيد من التفاصيل اُنظر: إعداد مجلة «رسالة الإسلام» كلية أصول الدين، بغداد. وغيرها.

(١) السيد محمد تقي الحكيم (١٩٢٤م ـ) من مجتهدي الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف ومن رواد حركتها الإسلامية، ساهم مع الشيخ محمد رضا المظفر وعدد من رجالات الحوزة العلمية في إدارة دفة جمعية منتدى النشر. تولى عمادة كلية الفقه وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية بقسم الدراسات العليا بجامعة بغداد.

انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٤م، ومجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٦٧م، ومجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢م، ومجمع اللغة العربية بعمان عام ١٩٨٠، ومجمع الحضارة الإسلامية الأردني ١٩٨١م، ومثّل النجف الأشرف في مؤتمرات إسلامية ولغوية عديدة.

من تآليفه: «الأصول العامة للفقه المقارن»، «القواعد العامة في الفقه المقارن»، و«التشيع في ندوات القاهرة».

لمزيد من التفاصيل اُنظر: السيد محمد تقي الحكيم ترجمة في سطور، مقدمة كتاب الأصول العامة للفقه المقارن، تحقيق مجمع العالمي لأهل البيت، قم ١٩٩٧م. الغابة العذراء: ١١. والإسلوب التقريبي لدى العلامة لسيد محمد تقي الحكيم للدكتور عبد الجبار شرارة. رسالة التقريب، العدد: ٤، ١٩٩٤م. وراجع: ثمرات النجف السيد محمد تقي الحكيم، للدكتور محمد كاظم مكي، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩١. مقدمة كتاب مالك الأشتر للسيد محمد تقي الحكيم، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، مطبعة الغري، النجف ١٩٤٦م.

(٢) جامعة الكوفة: جامعة أهلية أراد لها مؤسسوها أن تكون مستقلة عن المؤسسات الثقافية

التي حالت دون إنجاز المشروع المذكور في حينه.

هـ ـ وقد اهتم قدس سره بمشاركة أعلام الحوزة بالمؤتمرات العلمية التي تقام خارج العراق ودعمها، حتى أرسل بعض الممثلين عنه للمشاركة في بعضها. كل ذلك من أجل إسماع صوت الشيعة في العالم وإيصال ثقافتهم والتعريف بمقام رجالهم.

و ـ كما دعمت المرجعية من أجل تعميم الثقافة إنشاء المكتبات العامة. بل قام سيدنا الجد قدس سره بنفسه بتأسيس مكتبته العامرة[1] وجمع

والجامعية الرسمية، فتقدمت بطلب الإجازة الخاصة بالتأسيس بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٦٦ ثم زار وفد من الجمعية المؤسسة للجامعة الإمام الحكيم قدس سره في النجف الأشرف فبارك سماحته المشروع العلمي الأكاديمي وأيّده. غير أن المشروع لم يكتب له ان يرى النور.

(١) مكتبة الإمام الحكيم العامة: فتحت أبوابها للمطالعين عام ١٩٦٦م وقد رودت بكل وسائل الراحة وأحدث وسائل التصوير والعرض وقراءة أفلام الكتب واحتوت على أعداد كبيرة من المطبوعات والمخطوطات الثمينة والمصورات عن أشهر المكتبات الإسلامية في العالم الإسلامي وقد ضمت جناحاً خاصاً بتاريخ النجف الفكري والعلمي والثقافي، وكل ما أنتجه المؤلفون النجفيون من مخطوط ومطبوع.

انتشرت فروعها في كافة أنحاء العراق من شماله إلى جنوبه وافتتحت كذلك فروعاً لها في كل من أندنوسيا، وحمص سوريا، وكرمانشاه بإيران، وبيروت ، والقاهرة، والهند، والباكستان، وغيرها. أصدرت مجموعة من المطبوعات. وأرسلت حتى أواخر عام ١٩٨٠م أكثر من (٤٥,٠٠٠) كتاباً للعديد من المكتبات العالمية الشهيرة.

فيهـا كثيراً من المصادر المهمـة لتكون مرجعاً للمؤلفيـن والباحثين. ومن أجـل تعميم الهدف اهتم بفتح الفـروع لها وزوّد تلك الفروع بالكتب في سـائر أنحاء العراق، حتى كان عدد فروعها (٦٦) فرعاً عـدا بعض الفروع خارج العراق، كما زوّد بعـض المكتبات في أنحاء العراق وخارجه بمجاميع الكتب ـ ومنها مكتبة جامعة الأزهر فى مصر ـ . وكان لذلك أعظم الأثر في تثقيف عامة الناس في فـروع المعرفة المختلفة. وفي نشـر الثقافة الشيعية في العالم الإسلامي.

ز ـ وقـد فتـح المرحوم المرجـع الديني آية الله السـيد محسـن الأمين قدس سره[1] في دمشـق

لمزيـد مـن المعلومات انظر: مـن نوادر مخطوطات مكتبـة الإمام الحكيـم العامة، النجف، ١٩٦٣ . وماضي النجف وحاضرها:١ / ١١٩. والإمام محسن الحكيم: ١٣٢ وغيرها.

(١) السـيد محسـن السـيد عبد الكريم الأمين (١٢٨٢ ـ ١٣٧١ هـ) ولد في قرى شقراء بجبل عامـل، وواصل دراسـته في النجف الأشرف حتى بلغ مرحلة الإجتهاد، عاد إلى سـورى ليسـتقر بدمشـق سـنة ١٣١٩ هـ منكباً عـلى التأليف والتوجيـه والتربيـة والتثقيف مهتماً بالشـأن لاجتماعي والديني والوطني. أسس مدارس لتعليم البنين والبنات الثقافة الدينية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام إضافة للثقافة الدنيوية. وكان أديباً، شاعراً، مؤرخاً كبيراً. من تآليفه: «أعيان الشيعة»، «الدر الثمين»، «الرحيق المختوم» ديوان شعره، وغيرها كثير. لمزيـد مـن التفاصيل اُنظر: أحسـن الوديعة: ٢/ ١٣٤. أحسـن الأثـر:٣١. معجم رجال

مـــدارس شـــيعية للذكـــور والإنـــاث اهتمامـــاً منـــه بتثقيـــف الشـــيعة هنـــاك ثقافـــة عامـــة وبوجـــه خـــاص الثقافة الإســـلامية الشـــيعية.

ح ـ كما اهتم بذلك المرحوم آية الله البحاثة السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره فقام بتأسيس الكليـــة الجعفرية فـــي مدينة (صـــور) من أجل تثقيف شـــباب جبل عامل، وأنشأ مدرسة للبنات في محاولة منه لتثقيفهن ثقافة دينية مع الحفاظ على عفتهن وإبعادهن عن الثقافة الغربية الكافرة وما يستتبعها من سلوك منحل مشين.

ط ـ وهناك نشاطات أخرى في هذا المجال في مناطق مختلفة تحت رعاية المرجعية الدينية، خصوصاً فـــي إيران حيث القدرات أكبر ومجال العمل أوسع، لا يســـعنا الإحاطة بها فعلاً، لعدم تيسر المصادر لنا ولا يحسن بنا الاقتصار على القليـــل الذي نعلمه منها، لعـــدم وفاءه بالغرض،

الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٧ / ١٧٢ وغيره كثير.
وراجع: السيد محسن الأمين بقلمه وقلم آخرين، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٧م، والسيد محســن الأمين سـيرته ونتاجه للدكتور علي مرتضى الأمين، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م.

ولئــلا نكون قد ظلمنا الآخرين بترك التنويه عن جهودهم.

ي ـ وقــد أنشــئت كثير من المؤسســات الثقافيــة فــي بــلاد الغــرب حيث يكثــر تجمع المســلمين هنــاك خصوصــاً المهاجرين ـ من قبــل المرجعيات أو بدعم أو مباركة منها ـ. ولا زالت المحاولات مســتمرة للاســتزادة من تلك المؤسسات بسبب شدة الحاجة لها. وقد تحدثنا كثيراً مــع ذوي العلاقة من أجل حثهم على ذلك ودفعهم إليه لشعورنا بشدة الحاجة له خوفاً من انحراف الجيل الذي يعيش هناك في تيار الثقافة الكافرة المتحللــة وضياع المفاهيم الإســلامية والثقافــة الدينية عليه، فنخســرهم بــدلاً من أن يكونوا دعاة للإســلام والإيمان هناك بثقافتهم الإســلامية الأصيلة والتزاماتهم الدينية الشريفة ومثلهم وأخلاقياتهم الرفيعة وســلوكهم السليم ونهجهم المستقيم. وهو أمر يحق على كل مسلم غيور أن يهتم به ويسعى له بجهده. والله سبحانه

وتعالى بعد ذلك في عونه ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

ك ـ كما قامت المرجعيات ودعمت وشجعت على طبع الكثير من كتب الشيعة في مختلف الفنون من أجل الحفاظ عليها ونشر الثقافة الشيعية وهو أمر لا يتيسر، إحصاؤه لكثرته... إلى غير ذلك من الاهتمامات الثقافية التي قامت بها المرجعيات والحوزات على الأمد البعيد والمناسبات المختلفة.

٢٦ ـ ومتى قرّ لمراجع الشيعة قرار، واستراح لهم بال، وخفَّت معاناتهم، وهدأت آلامهم، أزاء المشاكل والمحن التي ترد على الدين والمؤمنين وتنزل بساحتهم. والله سبحانه وتعالى وحده العالم بحالهم والناظر إليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهناك أمور حقيقة بالملاحظة..

الأول: أن قدرات المرجعية محدودة، لأنها لا تحمل الصفة الرسمية المعترف بها على أرض الواقع. كما أنها تأبى

(١) العنكبوت: ٦٥ .

ـ بمقتضى ضوابطها الشرعية، ومثلها الأخلاقية ـ المساومات مـــع القوى المعترف بهـــا والفاعلة في الســـاحة. ولا تملك إلا قناعـــات المؤمنين التـــي لا ضابط لها، ولا يتيســـر تحديدها. وكثيراً ما لا تســـتطيع أن تفرض نفســـها علـــى أرض الواقع في مقابل القوى المحيطة بهـــا، بل تكون محاصرة من جانب تلك القوى، كما تحاصر الشعوب المستضعفة من قوى الشرّ والطغيان. ولا سيما مع تعدد المرجعيات، حيث تضعف القوى المذكورة بتوزعها، خصوصـــاً مع اختلاف وجهات النظر في كثير من الحالات.

الثاني: أن للمرجعية الدينية وظيفة عظمى تستنزف كثيراً من طاقاتها، وهـــي الحفاظ على الحـــوزات العلمية، والرعاية لها، وتنميتها، من أجل بقاء المعين الذي يمدّ التشـــيع بالعلماء العامليـــن، الذين يصلحون للمرجعية، والذين يقومون بالتبليغ الديني للعباد، ويرفعون منار الإسلام في البلاد. ولهذه الوظيفة أولويتها..

أولاً: لأهميتها، إذ لولاها لانطمست أعلام الدين وضاعت معالمه.

وثانيـــاً: لانحصـــار القيام بهـــا بالمرجعية، ولا يتيســـر لبقيـــة القوى الخيـــرة والمؤمنة القيـــام بها والحفـــاظ عليها

لولاهـــا. وقـــد حافظـــت المرجعيـــة علـــى الحـــوزات بجهد جهيـــد، وبقي الطالـــب الحوزوي الجيـــد متعباً مجهـــوداً في الأعم الأغلب.

الثالث: عدم تصدي المرجعية غالباً لإحصاء خدماتها، ولا للإعلام عنها والدعاية لها، فكثير من النشـــاطات التي تقوم بها والخدمات التي تؤديها لا يطلع عليه إلا من صادف وقوعها على يده، أو تواجده حين حصولها، وكثير منها لايطلع عليه أحد أبداً.

كل ذلـــك لعدم الاهتمام بهذه الأُمـــور بمقتضى الطبيعة الأوليـــة للمرجعيـــة، وإنما المهم تحقق الخدمـــة أداءً للواجب، واســـتجابة للضميـــر، وتقرباً لله تعالى. بل قـــد تتعمد الكتمان والإخفاء من أجل ذلك.

وقد كان بعض العاملين في مرجعية ســـيدنا الجد السيد الحكيم قدس سره[1] يحبذ تثبيت بعض الخدمات والتنويه عنها من أجل بيان أهمية المرجعية وفعاليتها.

ولم يُقتنع بذلك، تحفظاً على خلوص العمل وصفاء النية والتنزه عن الشوائب.

ولكل وجهة نظره، وهو مجزيٌّ بنيته.

(١) أُنظر: ص ١٢١ هامش ١.

وعلى كل حال فقد كان هذا الأمر الثالث سـبباً في ضياع كثير من النشاطات والخدمات وخفائها. وربما كان كثير منها مذكوراً في بطون الكتب المعروفة متفرقاً، لا يتيسـر الإطلاع عليه إلا بعد جهد جهيد وصرف وقت لا يسعنا فعلاً.

كمـا كان الأمـران الأولان سـبباً فـي قلة النشـاطات والخدمات نسبياً.

إلا أن ذلـك لا يعني خفاء السـيرة المشـرفة للمرجعية الدينية، وجهودها العظيمة، ومواقفها النبيلة الكريمة، والتباس الامر في ذلك على الناس عموماً[1] فضلاً عن المؤمنين.

(١) حتى قال بعضهم: «إن المجتهدين والعلماء يمثلون قوة عظيمة في إيران، وهم يهتمون في كل ناحية من نواحي الحياة البشرية، من أدق التفاصيل في الطهارة الشخصية إلى أعظم القضايا في السياسة. فالمسلم الشيعي حين تقع له مشكلة لها مساس مباشر بالاحكام الشرعية (التي هي من الناحية العملية تدخل في كل الأُمور) فإنه يتقدم بها إلى أحد المجتهدين يستفتيه في حلها، والفتوى التي يصدرها المجتهد قد تشمل تكفير ملك فاسق أو وزير، وقد يعلن فيها أن الذي يؤيد ذلك الملك أو الوزير هو كمن يحارب الامام الغائب. والواقع إن وجود المجتهدين الكبار في النجف وكربلاء، أي خارج الحدود الايرانية، دعم مركزهم وجعل لهم حصانة. وقد حاول الكثيرون من حكام إيران تقليص نفوذ هؤلاء المجتهدين قبل العهد الصفوي وبعده، فلم يوفقوا في محاولاتهم إلاّ قليلاً، لان العلماء يؤلفون طبقة وطنية حقيقية ويمثلون في كثير من الاحيان مطامح الشعب ووجهة نظره، واستطاعوا غير مرة أن يدرأوا عن الشعب جور الحكام..». من كتاب :
(a library history of persia) edward browne .p:1953/ 371 -372. vol:4.

بــل ما زلنا نلمس ممن عاش مــن المؤمنين ـ وفقهم الله تعالى ـ مع الحــوزات والمرجعيات وخالطهــا، البخوع لذلك والاعتزاز به وتعظيم المرجعيات والحوزات عموماً وتبجيلها والامتنان منها والشكر لها، فهم ينظرون للمرجع على أنه الاب الــرؤوف، والوالد العطوف، يحزن لحزنهــم، ويفرح لفرحهم، ويعيش معهم قضاياهم ومشاكلهم.

ولا زلنا في حيرة من أمر هــذه الظاهرة الجديدة ـ التي رصدتها هذه الاسئلة ـ المتمثلة بالتجاهل لذلك كله، والنيل من المرجعيــة الدينية والتطاول عليها، حيث لم نعهد لها مثيلاً من قبل، ولا كانت تخطر لنا في بال.

فبالامس القريب حين نجحت الثورة الايرانية كانت الثورة توثِّق نفســها بأنها تحت رعاية المرجعية الدينية الشيعية التي أثبتت جدارتها وأمانتها وإخلاصها على مدى التاريخ الطويل بنحو لا يقبل الريب.

وبعد أن تعرضــت الحوزات عموماً للمآســي الفجيعة نتيجة ردود الفعل المتوقعة في كثير من الاقطار ـ كالباكستان والافغــان وغيرهما ـ فبدلاً من أن يبكي الشــباب المؤمن لما أصابهــا وأصــاب المرجعية معها بدل الدمــوع دماً، وتتقطع قلوبهــم ألماً، إذا بالحــوزة والمرجعية تفاجــأ بهذه الظاهرة

الطارئة، التي تُتَجاهل مواقفها وأمجادها وجهودها وجهادها، ويَتطاول عليها شـــريحة من الجيل الجديـــد من أبنائها، لتقف موقف المدافع عن نفسه، والذابّ عن حقه.

فمـــا الذي حـــدث؟! وكيف صار ذلك؟! أبهذه الســـهولة يتجاهل الواقع؟! أو بهذه الســـرعة تنسى الحقائق؟! وما عشت أراك الدهر عجباً!!!.

حقاًأنذلكلممَّايحزفيالنفسويبعثعلىالمرارةوالحسرة.

ليس لان ذلك ظلم للحقيقة المتعبة، فإنا قد تعودنا الظلم على طول التاريخ حتى ألفناه.

ولا لانه ظلم لهذه الحقيقة من قبل أبنائها..

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

فإن في الله تعالى عزاء وسلوة.

بل لامرين..

الاول: أن في ذلك انتهاكاً لحرمة المرجعية المقدسة وهو انتهـــاك لحرمة الائمة عليهم السلام خصوصاً إمـــام العصر عجل الله فرجه، فإنه لم يفارق شـــيعته إلا بعد أن أحكم أمرهـــم، وأرجعهم في دينهم

لعلمائهم العاملين المأمونين.

أفتراه حينما قـــال: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله»[1].

أرجع للعلماء وليس فيهم في كل زمان من هو أهل للامانة والمرجعية، فيكون قد غرّر بشـــيعته وأوقعهم في ظلمات التيه والضلال! حاشاه من ذلك.

بل لابد أن يكون قد علم عليه السلام أن فيهم في كل زمان من هو أهل للمرجعية وتحمل الامانة، لتقوم به الحجة.

ومـــن المعلـــوم من حـــال علمـــاء الطائفة مـــن عصور الائمـــة عليهم السلام إلى هـــذه الايام التصـــدي للمرجعيـــة وفق هذه الضوابط المشـــهورة، ويتشابه ســـلوكهم بوجه عام في هذه الحقبة الطويلة من الزمـــن، فالنيل من المرجعية المعهودة مع ذلك تجاهل لهذه الحقيقة الناصعة، واستهوان بأمره صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، بعد أن أقام الحجة وقطع العذر.

الثاني: أنا نتوجس خيفة وقلقاً على أبنائنا أنفســـهم، فقد وعدنا أئمتنا عليهم السلام في نصوص كثيرة جداً بفتن في عصر الغيبة يخرج بها الناس عن دينهم.

(١) وسائل الشيعة: ١٨/ ١١ من أبواب صفات القاضي حديث: ٩ .

ففي حديث المفضل بن عمر: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحّصنَّ حتى يقال: مات؟! قتل؟! هلك؟! بأي واد سلك؟! ولتدمعنَّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفؤن كما تكفأ السفن في أمواج البحر فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الايمان، وأيده بروح منه.

قال فبكيت، ثم قلت: فكيف نصنع؟

فنظر إلى شمس داخلة في الصفة، فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟!

قلت: نعم.

فقال: والله لامرنا أبين من هذه الشمس»[1].

وفي حديث علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا فُقِدَ الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم عنها أحد، يا بني إنه لابد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه . .»[2].

وفي حديث الحسن بن محبوب عن أبي الحسن

(١) الكافي: ١/ ٣٣٦ .

(٢) الكافي: ١/ ٣٣٦ .

الرضا عليه السلام: «لابد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليجة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدى..»[1].

إلى غير ذلك من المضامين المرعبة التي تضمنتها النصوص عنهم عليهم السلام.

فإنها تنذر بتعرض المؤمنين للفتن العمياء، وأعاصير الضلال المظلمة التي تشبّه عليهم الأُمور وتستغفلهم عن أمر أهل البيت عليهم السلام، الذي هو الدين الحق، فيخرجون عنه مع أنه أبين من الشمس، لظهور حجته، وقوة أدلته، وفي ذلك الهلاك المريع والشقاء الدائم.

وإن من أعظم الحواجز عن ذلك الحوزات الشريفة والمرجعية الدينية، لانها تتكفل بدفع الشبهات وإيضاح الحقائق، وبها حفظ الدين وأمر أهل البيت عليهم السلام في عصر الغيبة الطويل.

فإذا نجحت هذه الحملة المشبوهة على الحوزات وعلى المرجعية في فصل المؤمنين أو قسم منهم عنها، وسلب ثقتهم بها وقعوا في التيه، وسهل التحكم فيهم وتضليلهم، وإخراجهم عن دينهم.

---

(١) إكمال الدين: ٣٣٥ .

فالحذر الحـــذر أيها المؤمنون على أنفســـكم، فإنها أعز الانفس عليكـــم، وعلى دينكـــم، فإنه عصمة أمركم، وســـبب سعادتكم وبه نجاتكم وفوزكم. فلا تفرطوا فيهما.

ومن القريب أن تكون هذه الحملة جزءاً من مخطط التضليل الذي تسعى له قوى الشرّ التي أقض مضاجعها الدين والمؤمنون.

ولا سيما مع تزامن هذه الحملة مع ارتفاع أصوات التشكيك والانـــكار واللامبالاة أزاء مســـلَّمات الطائفـــة الحقة وثوابتها، والجرأة علـــى تجاهل الحقائق الواضحـــة، ومحاولة الخروج عـــن خطّ أهل البيت عليهم السلام، وظهور موجـــة التجديد والانحراف.

فعليكم أيها المؤمنون رعاكم الله تعالى..

أولاً: التمســـك بمرجعيتكم الدينية التي هي عنوان الفخر لهذه الطائفـــة، والتي قد تميزت بها عـــن غيرها من الطوائف، والانشـــداد إليها مع مراعاة الموازين الشـــرعية في تحديدها، وكمال التحفظ على الاخلاص والواقعية والقدســـية في أمرها، كما أكدنا عليه في أحاديث سابقة.

وثانياً: الحذر من موجة التشـــكيك والانكار لمســـلمات الطائفة، التي أشـــرنا إليهـــا بالتثبث في أُمـــور الدين وثوابته وأحكامه وفقهه والفحص عنها، والرجوع فيها للمصادر الاصيلة.

والاســـتعانة في ذلـــك بأهل الديـــن والتقـــوى والورع والاخلاص، ممن هم أهل للامانة في أمر الدين (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[1]، ﴿...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ...﴾[2].

ونســـأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة، ويعيذنا وإياكم من مضلات الفتن، ومن الشيطان الرجيم، ويكفينا جميعاً شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ويجعل لنا من أنفســـنا زاجـــراً وواعظاً، ويجعلنا من عباده الصالحين. إنه أرحـــم الراحمين، وولي المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩ .

(٢) سورة الطلاق: ٣٥٢ .

المحتويات

المقدمة ٥
المرجعية الدينية: الحلقة الأولى ٧
مقدمة الطبعة الأولى ٩
تمهيد ١١
تقليد العلماء منذ الصدر الأول ١٥
حول المقدمة المذكورة قبل مسائل التقليد في الرسالة العملية ٢٢
شروط مرجع التقليد ٢٣
أثر الورع في مرجع التقليد ٢٤
المبرر للتقليد ٢٨
أدلة وجوب تقليد الأعلم ٢٩
شبهة عدم وجوب تقليد الأعلم ٣١
جهات تمييز الأعلم من بين المجتهدين ٣٨
دور الحدس في تعيين الأعلم ٣٩
حول تعدد المراجع ٤٠
حول المرجعية المؤسساتية ٤١
دوافع المحاضرات الأخلاقية والتربوية في المواسم الدينية ٥٨
اعتماد المرجع على القريبين من تلامذته وأبنائه ٦٠
الجهاز المرجعي خاضع للمرجع لا إلى مستشاريه ٦٤
غياب الإمام عليه السلام عن وجدان كثير من الشيعة رغم عقيدتهم به ٦٧
حول أزمة الثقة الموجودة بين المجتمع ورجال الدين ٧٠
صرف الحق الشرعي من دون مراجعة الحاكم الشرعي ٧٤
عناصر قوة مذهب أهل البيت عليهم السلام ٧٦

حول الدعايات المكثّفة التي تشن على الشيعة والوقوف أمامها..... ٧٩
توجيهات لشيعة أهل البيت عليهم السلام في كيفية تعايشهم فيما بينهم..... ٨٦
حول التعاون مع باقي المذاهب والانفتاح عليهم..... ٨٩
بيان للصيغة الصحيحة لتعامل المسلمين فيما بينهم..... ٩٣
توجيه للكتّاب والمحققين والمبلّغين ٩٦
الحوار مع باقي الأديان خصوصاً الدين المسيحي..... ٩٧
نظرة الى المستقبل..... ٩٨
المرجعية الدينية/ الحلقة الثانية..... ١٠٥
المقدمة..... ١٠٧
التمهيد ١١١
وظيفة المرجعية الدينية..... ١١٧
تعيين المجتهد الأعلم..... ١١٨
اجتماع أهل الخبرة في تعيين الأعلم..... ١٢٢
ارشاد الناس الى المرجع الجديد..... ١٢٥
عدم جواز التبعيض في التقليد..... ١٢٩
المرجعية ووسائل الاتصال الحديثة..... ١٣٠
توجيهات لتلاحم طلبة الحوزة العملية والطلبة الجامعيين..... ١٣١
مميزات الحوزة العملية على المؤسسات الدينية للأديان الأخرى..... ١٣٥
دور المرجعية مع التيارات الفكرية المنحرفة..... ١٤٠
المواقف العملية للمرجعية ضد الاستعمار الاجنبي..... ١٤٨
شبهة انعزال المرجعية عن شؤون الناس..... ١٧٨
بيان بعض الأمور الحقيقية بشأن المرجعية..... ١٩٨
وصية المرجعية الى المؤمنين..... ٢٠٥
المحتويات..... ٢٠٧